البؤساء

عن رواية الأديب الفرنسي الكبير

فيكتور هوجو

ترجمة وإعداد

أسامة نورالدين

اللوحة الأولى

ســــاحة السجن

تشرقُ شمسُ النهار بالتدريج حتى الظهيرة فتكشفُ عن ساحةِ السجن حيث مكان تأدية الأشغال الشاقة. متاريس وكردون حول المساجين وعلى حدوده يقف الجنود بالبنادق والكرابيج. بعضهم يقفُ فوق أحجار عالية متحفزًا لإطلاق النار على من يفكر في الهرب. المساجين يكسرون الحجارة ويحملون بقاياها في عناء شديد، وعلى دقات مطارقهم يُغنون آلامهم.

أغنية تدل على الذل والقهر

سجين1: الشمسُ كالجَحيمِ وقدْ هدّني العملُ حتى الموت!

الجميع: (**جمل توزع**) مازلت في البداية. بينك والخروج من الجحيم عشرون عامًا من الأشغال الشاقة.

سجين2: أنا لم أرتكب ذنبا ولا جرما. هل يسمعني أحد؟

الجميع: نحن خلفَ أسوارِ الحياة. لن تسمعكَ أذنُ إنسان.

سجين3: لم يزُرْنِي في السجنِ قريبٌ. هل يذكُرُني أحد؟؟

الجميع: كلنا طعامُ النسيان.

سجين4: أخرجُونِي من هنا ولن تروا وجهي ثانية حتى أموت.

الجميع: الحُراسُ على الأعْرَافِ! لا تُرسِلْ عينيك إليهم. عينك في الأرض!

سجين5: متى يجيءُ الموتُ فيخلصَنِي من هذا العذاب؟؟

الجميع: (**في تداخل صوتي بين الكلام والغناء**) عينك في الأرض. ستظلُ هنا للأبد. أنت واقفٌ على قبرِكَ. ستظلُ عبدًا للأبد!

يغني المساجين مقطع من الأغنية السابقة ـ صوت أقدام ثم بروجي يُعلنُ عن قدوم جافير. يحميه كل جنود الحراسة.

جافير: (**يقف معلنا**) السجين 601

2

فالجان: (يقف من بين السجناء في إباء) اسمي جان فالجان. عشتُ هنا عبدًا للقانونِ تسعة عشر عامًا.

الجميع: (يُردِّدنُ بغلٍّ وكبتٍ) تسعة عشر عاما.

جافير: خمسة منها فقط لأنك لص، والباقي جزاء مُحاولات الهرب.

فالجان: لمْ أرْتكِبْ جُرمًا!

الجميع: لم نرْتكِبْ جُرمًا! **(كأنها بوادر تمرد لكن الجنود يسيطرون على المكان)**

جافير: بل سرقتَ منزلا.

فالجان: سرقتُ رغيفا. كنا نتضور جوعا. والسَّادةُ شبْعَى مُتخمُونَ. كانت ابنة أختي تُحْتضَرُ مِنَ الهُزال حين حبسَ تجارُ الغلالِ القمحَ ليزدادَ سِعْرُهُ! الذين صنعوا الفقرَ والجوعَ أولى بمكاني هنا!

الجميع: ... **(يرددون في تداخل)** ... والجوع أولى بمكاننا هنا!

جافير: وسوفَ نموتُ جُوعًا إنْ لمْ يَعْرفْ أمثالُكَ حُدُودَ القانون.

الجميع: القانون!!!

(صمت مفاجئٌ ثم يتواجه جافير وفالجان)

جافير: اليومَ أُفرجَ عنكَ. هل تفهَمُ مَعنى هذا؟؟

يلقى فالجان بأدوات العمل ويخلع ملابس السجن، تحتها ملابسه العادية.

فالجان: معناهُ أنِّي صِرْتُ حُرًا.

جافير: بل تحتَ المُراقبةِ. ستمرُّ كلَّ يومٍ على المَخْفَرِ، لتحصُلَ علي توقيعٍ بأنك لم ترتكبْ جُرمًا جديدًا. والسجنُ في انتظارِكَ إذا خالفت ذلك يا 601.

(جافير يسلمُ فالجان صحيفة سوابقه).

فالجان: اسمي جان فالجان!

جافير: وأنا جافير! سيفُ القانونِ على رقابِ المُجْرِمين. جاآآآفير! تذكرْ هذا الاسمَ جيدا يا.... 601

يتباعد فالجان يراقبه جافير من مكان مرتفع. يغني المساجين لحنهم السابق وتتباعد الأصوات حتى يخرجَ فالجان من محيط السجن. يمسك فالجان صحيفة سوابقه وينزل إلى الصالة قاطعا المسافة من الدرع إلى الدرع.

فالجان: **(تصاحبه الموسيقى تغلفُ الجو دائما بينما يتغير المشهد من خلفه ثلاثة أماكن أحدها مرزعة المرازع والأجراء)** هاأنذا أملكُ حريتي من جديد. مازالتْ الريحُ تهبُّ على وجهي. أستطيعُ أنْ أستنشقَ هواء الأرض في صدري. مازالتْ الأرضُ ثابتةً من تحتِ قدمي. وخطوتي مِلكُ إرادتي. والسماءُ صافية، بعيدة. سأمُدُّ بصري لأبعدِ مدًى. لن أغفر للذين أذنبُوا في حقي وحقِّ الفقراء. وليكُنْ اليومُ لا غدًا، هو بدايةَ العمرِ الجديد.

يمرُّ طابورٌ من الفلاحين يقفون لتلقي أجورهم فيقف فالجان في آخر الصف بينما يظهر شارع به استقبال فندق ديناردييه، ثم بعيدا يضاء النور على باب بيت القس من

3

الخارج. الكل أمام عريشة المزرعة حيث ينتهي صاحبُ المزرعة من صرفِ أجور الجميع حتى يأتي دورُ فالجان.

صاحبُ المزرعة: خذ هذه النقودَ وغادرْ مزرعتي اليوم.

فالجان: (يعد النقود القليلة التي أخذها) لماذا يا سيدي؟؟ لقد أخلصتُ العملَ أكثر منَ الآخرين. فهل تكافئني بنصفِ الأجر الذي يأخذونه؟!

صاحب المزرعة: أنتَ صاحبُ سوابق، وأنا لا أحبُّ أنْ تدخُلَ الشرطةُ مزرعتي.

عامل: هل تريدُ أنْ تحصُلَ على نفس أجرِ الشُّرَفَاء أمثالي؟

صاحب المزرعة: ابْحثْ عنْ مكانٍ آخرَ.

فالجان وحيدًا بينما يظلم مكان المزرعة وتضاء زاوية استقبال خان ذيناردييه النائم على أريكة في الخلفية والوقت صار ليلا.

فالجان: صاحبُ سوابق! أغلقَ الجميعُ أبوابَهُمْ في وجهي كأني الطاعون. مَنْ سَرقَ رغيفًا كمَنْ قتلَ نفسا. الكلُّ أصحابُ سوابق؟! لا بأس، أبيتُ الليلة هُنا، وفي الصباح أدبرُ أمري.

يتقدم إلى ذناردييه وقد جلس على أريكة نائما يشخر. فالجان يحاول إيقاظه.

فالجان: سيدي! أريد حُجرة أبيت فيها. سيدي استيقظ يا سيدي!

م. ذناردييه: (تظهر من الداخل خليعة) اسمك يا سيد ونقودك، ولا مفلس؟؟

فالجان: اسمي فالجان وهذه نقودي.

م. ذناردييه: (تستطلعُ جسده القوي برغبة) لك ذراعا أسدٍ وصدرُ طور. **(يهرب منها نحو زوجها النائم)** عندي كلُّ ما تشتهي وزيادة.

فالجان: (في حياء) هدَّنِي التعبُ والظلامُ دامسٌ بالخارج. فقط أريدُ سريرا وسأدفع مُقدمًا.

م. ذناردييه: (تراوده عن نفسه) عندي سريرٌ باردٌ. ولو استطعتْ أنْ تُدفِّأهُ، قدَّمْتُ لكَ الخمرَ والخُبزَ واللحمَ الساخن. **(ينكمشُ في حياء)** هل عرفتَ الحُبَّ مِنْ قبلُ يا...

فالجان: اسمي فالجان يا سيدتي، وكلُّ ما عرفتُ في الحياةِ هو الجوعُ والشقاءُ.

م. ذناردييه: مُثقلٌ أنتَ بالمرارةِ. وأنا سِتٌ عندي نظر. أستطيعُ أنْ أسقيكَ الشَّهدَ إنْ شئتَ. **(يهرب منها مُبتعدًا فتغضبُ)** ما الذي تعافُهُ فيَّ أيُّهَا النَّتِنْ؟ هيَّا أغربْ عَنا! جميعُ الغُرَفِ مَشغُوَلةٌ والطعامُ نفذ. هيا!

فالجان: دَعْينِي أنامُ لو فِي حظيرةِ الخيلِ. البردُ قارصٌ والليلُ مُخيفٌ.

ذناردييه: (يستيقظ) اذهبْ أيُّهَا القِرْدُ الأجربُ! الستْ المُحترمة بتقول لك: السرير بارد والخمر والخبز واللحم الساخن، وأنا عامل نايم أمامك، خلَّص! اذهب وإلا ألهبتُ ظهرَكَ بالعصا. نحنُ أناسٌ شرفاءُ وأنت شكلك سوابق.

تمر كوزيت الصغيرة (ابنة فانتين) تحملُ وعائي ماء يتدلى كل وعاء من عصاة عبر كتفيها وقد كلت من الحمل الثقيل.

فالجان: (مُبتعدًا) هُمْ شرفاءُ وأنا سوابق. **(يتابع كوزيت بحملها في شفقة ورأفة)**

م. ذناردييه: لماذا تأخَّرْتِ هكذا يا بنتَ الأفاعي؟

كوزيت: آسفة يا عمتي. كُنتُ... كُنتُ... (**تسعلُ بشدة**)

ذنارديه: كُنتِ ماذا يا بنتْ؟ (**تسعل بشدة**) كلُّ هذا الوقتِ في مَلءِ وعاءٍ صغيرٍ هكذا من البُحيرة؟ أمُّكِ لم ترسلْ النقودَ، وأنت تأكلين مثل تمساحٍ متوحش.

فالجان: (**يعود إليهما فيعانقُ كوزيت**) رفقًا بها أيُّهَا الرَّجُلُ أنت وزوجتك. إنها طفلة صغيرة. أليست ابنتكما؟؟

ذناردييه: رُوحْ لحالِكِ يا سيدْ، أحسن أنادي الشرطة والله!

فالجان: الشرطة؟! (**يبتعدُ مضطرًّا**) الآن عرفتُ معنى كلامك يا جافير. الحريةُ التي تلصقُ بك السَّجانَ، حريةٌ كاذبةٌ. لا مكانَ للشفقةِ في هذا العالم. هذا هوَ القانون.

م. ذناردييه: ألمْ ترْسِلْ لأمِّهَا خِطابًا تطلبُ فيه نقودًا لنفقةِ هذه المُتوحِّشةِ؟

ذناردييه: أرسلتْ. هيا فالبردُ شديدٌ. خذيها قبل أن تموت. (**يدخلان**)

فالجان يرتعد بردًا فيمرُّ القسُّ عائدًا لبيتِهِ الذي أضيء على بابِهِ قنديلٌ. يهم فالجان إلى القس ولكنه ينظر إلى صحيفة سوابقه في يده فيتراجعُ لينصرف ولكن القس يُبادرُهُ مناديا.

القس: انتظر يا سيدي. هل تسمحُ أن أستضيفكَ عندي الليلة؟ لقدْ أغلقَ البردُ على الناسِ أبوابَهُمْ ولنْ تجِدَ مكانا يُؤويك.

فالجان: ولكني يا سيدي...!

يمدُّ فالجان صحيفة سوابقِهِ للقس ليُعرِفَهُ بنفسه، لكن القسَّ ينشغلُ بحمل القنديل من على الباب للداخل ويدخل البيت ثم يعودُ ليمدَ يدهُ لفالجان ليدخل خلفه من أحد الكواليس ثم يظهران من كالوس العمق وقد تحول المشهدُ إلى منزل القس. أريكة وركن به شمعدان ومِنضدة عليها الطعامُ والشرابُ مُغطاة بقماشٍ أبيض. القسُّ يضعُ القنديلَ في ركن.

القس: (**يكشفُ عن الطعام ويذهب إلى ركنٍ يُحضرُ إبريقَ شاي ويصبُّ له**) وجهُكَ يُعلنُ عَنْ تعبٍ هَدَّ قواكَ. عذرًا سيدي فأنا أعيشُ حياةً مُتقشفة، ولكنِّي أطمعُ أنْ تباركَ طعامي وتأكلَ معي. (**فالجان يمد يده للطعام بتردد**) بقايا فطيرةِ العسل والزبْدِ. (**يشرعُ فالجان في التهام الطعام بنهم وسرعة**) وهذا سريري. كُلْ نَمْ حتى الصباح. (**يهمُّ القسُّ بالانصراف**)

فالجان: سيدي! ألا تحبُّ أنْ تعْرفَ مَنْ أكونُ قبلَ أنْ ...

القس: ... أنت أخي وقد أكرمَنِي الرَّبُّ بكَ الليلة. (**يربتُ على كتفِ فالجان في حنان**) استرحْ مِنْ آلامِكَ وانفُضْ عنكَ خطاياك. (**يقفُ القس في ركن ثم يسحبُ كتابا سميكا ويقرأ صلاة ثم ينصرف**) إن احتجت شيئا فنادِنِي.

فالجان: (**يلتفت ليطمئن أنه وحيد**) لم يسألْ كالآخرين عن صحيفةِ سوابقي. سقاني وأطعمني حتى شبعتُ. (**يتلمس المكان ليسرق**) صنعَ ما عليهِ من خيرٍ، وأنا مثلتُ دورَ العبدِ الشكورِ. هذا الشمعدانُ مصنوعٌ من الفضهِ ويساوى ضعفَ ما كسبتِ من مال طوال عمري الفائت. عجوزٌ غبيٌّ، ويجبُ أنْ اشْكُرَهُ كمَا علمُونِي في السِّجْنِ. (**يحمل الشمعدان ويخرج**)

القس: (**يظهر قادمًا من الداخل في حزن وقد رأى ما فعله فالجان يجرى نحو الباب خطوتين ويتوقف**) ويلٌ للأشقياءِ إنْ لمْ يُخلصُ الرَّبُّ أرْوَاحَهُمْ مِنَ الإثْمِ والخطِيئةِ. هل تشرقُ الأنوارُ فى قلبِكَ أيُّهَا الشقيُّ ذاتَ يومٍ؟ (**يهم بالأنصراف لكن الباب يدق ويدخل اثنان من رجال الشرطة بينهما فالجان ممسكا بالشمعدان**)

شرطى1: عفوَك سيدي. أمسكنا بهذا اللصِّ يتسللُ من بيتِكَ يحملُ هذا الشمعدان.

شرطى2: وقبلَ أنْ نرسِلَ به إلى المَخْفرِ أتينَا نأخذُ شهادتكَ ضدَّهُ.

القس: هل قالَ إنَّهُ سَرقني؟

فالجان: (**مُستنجدا**) قلتُ إني كنتُ ضيفَكَ يا سيدي.

القس: صدقَ الرجلُ. وقد أهديتُهُ هذا الشمعدان. ولكنه نسي أنْ يأخذَ كُلَّ ما وهبتُهُ. (**يحضرُ شمعدانا آخر**) لماذا ترَكْتَ أفضلهَا يا أخي؟ هل تريدُ أنْ تحرِمَنِي أجري مِنَ الرَّبِّ حينَ ترُدُّ هديتي؟

فالجان: (**يُوارى وجههُ خجلا**) ولكني يا سيدي...

القس: لماذا خرجتَ مُبكرًا هكذا؟ كنتُ أحِبُّ أنْ نُفطِرَ سوِيًّا.

شرطى1: أواثقٌ أنتَ يا سَيِّدِي أنك في أمانٍ مِنْ هذا الرَّجُلِ؟؟

القس: أشكرُكَ يا سيدي على حُسْنِ أدائكَ لِعَمَلِكَ. ولكنكَ أخطأتَ الرَّجُلَ المطلوب. هل تشربان مَعي بعضَ القهوه؟

شرطى2: نشكُرُكَ يا سيِّدِي وعِمْتَ صباحًا. (**يخرجان**)

فالجان: (**ينهار باكيا**) ماذا فعلتَ بي يا سيدي؟ أكرَمْتني وغَدَرْتُ بك. فعُدْتَ فعفوتَ عني حتى أذلني معروفُكَ كأني كلبٌ حقير. سامحني.

القس: بل سامحني أنتَ يا أخي. فلو أنِّي كنتُ أتصدَّقُ بالفضَّةِ على الفقراءِ مِنْ يَدِ الرَّبِّ، لو أنِّي أُحْسِنُ الخشوعَ وأسَامِحُ كالمسيح؛ ما سَرَقتَنِي. أنا المذنبُ لا أنت. (**يوارى القسُّ وجهَهُ عن فالجان باكيا في خشوع**) أرجو يا سيدي ألا تنسني من دُعَائك! (**تهمس موسيقى ترتيل كنسي تبشر بخلاص روح فالجان**)

فالجان: (**يجهشُ بالبكاء**) ما كان دُعائي طوال التسعة عشرَ عامًا الماضية إلا اللعناتُ أكيلُهَا على من أدخلني السجن ظلما حتى أظلمَتْ روحي! قل لي يا سيدي القسَّ الطيب، ماذا أثمرتْ صلواتُكَ في كُلِّ قدَّاسٍ، بينما الشرورُ والأشرار ينهشونَ براءةَ الفقراءِ والمساكين؟ من أينَ لي بالنُّورِ ليمحُوَ كلَّ هذا الظلامِ الذى سكنَ رُوحِي حتى الكفر؟

القس: (**يبكى مواليا ظهره لِعُمْقِ المكان**) وإذنْ ما أخلصتُ الصَّلاة للربِّ ولا الدعاء. اصفعْنِى يا سيدى وامسح فيَّ شقاءك وخطاياك.

فالجان: (**يذهب إليه كأنما انتوى صفعه، لكنه يرتمى على كتفه مُعذَّبًا**) ماذا فعلتَ بى يا سيدى؟ أأنتَ مَنْ يبكى على خطايَاى؟ وأنا جامدٌ كالصَّخر لا تلمسُ قلبى رحماتُ دعائك؟ هلْ ضللتُ طريقَ الخير وانطفأ نورُ قلبي إلى الأبد؟ هل صِرْتُ فى عِدادِ المُجْرمِين الأشقاءِ؟

القس: رُحماك بنفسِكَ يا سيدى.

فالجان: وأين هى نفسى أيُّهَا الرَّجُلُ الطيب؟ لقد أخذوا مِنّي جان فالجان وأعطوني رقمًا. قيَّدُونِي بالسلاسل وألهبُوا ظهري بالسياطِ لأجل رغيفٍ مِنَ الخبز لمدةِ تسعة عشر عاما. ثم خرجتُ من السجنِ وفي كفِّي سجنٌ آخر مرسومٌ فِي هذه الورقة. **(يشهر صحيفة سوابقه)** فأينَ الرَّحْمَةُ فى هذا العالمِ يا سيدى الكريم؟ أجبْنِي أو حطِّمْ رأسي بهدِيّكِ هذِهِ كي أستريح! **(ينهار على الأريكة باكيا)**

القس: (يذهب إليه ويرْبتُ على كتفه) ما أعظمَ جُرْحَكَ ومَا أطْهَرَكَ! أمَّا رُوحُكَ فمِلْكٌ لربِّكَ. وأمَّا الرَّحْمَة التي سألتنِي عنها؛ فإنى أراهَا تشرقُ في نفسك من غير غروب. سأعيدُ رجائي لك يا سيدى؛ أرجوك لا تنسني من دعائك! فوحَقِّ الرَّبِّ فِى عُلاهُ، لتفيضنَّ الرَّحْمَةُ من بيْتِكَ، حتَّى تشملَ مَنْ هُمْ ليْسُوا مِنْ صُلْبِكَ ولا قرابَتِكَ. سامِحْنِي لفقرى فلستُ أمْلِكُ خيرًا مِمَّا أهديتُكَ؛ وأرجو أن تنفعَكَ الهدية. **(يتركه القسُّ ويمضى للداخل)**

فالجان: (وحيدًا بينما يشرقُ نور النهار من النافذة مصاحبا لنور الهداية) أيُّ طرازٍ منَ البشرِ كانَ هذا الرَّجُل؟! وأىُّ نور أحِسُّهُ يُشرقُ فى نفسى مِنْ كلمَاتِهِ الطيبة! وَهَبَنِى حُريتى وقالَ إنَّ رُوحِي مِلكٌ لربِّى. هلْ حَقًّا هناك طريقٌ ألقى فيه نفسى؟ إذنْ قفْ الآنَ يا فالجان ولا تُحمْلِقْ في المَجْهُولِ. سَأهْرَبُ مِنكَ يا فالجان إلى الأبد. مَا عَادَ هُناكَ صَاحِبُ سوابقَ بهذا الاسم. **(يُمزق الصحيفة)** جان فالجان لم يَعُدْ لهُ وُجُودٌ. وقصَّةُ أخْرَى الآنَ تبدأ مِنْ فوْرِهَا. **(يخرج)**

إظلام

اللوحة الثانية

بعدَ مُرور عشرةِ أعوام

(مصنع جان فالجان)

العمال يحملون الكراتين والعبوات من مكان انتاجها إلى المخزن. تغليف وتربيط ورص. البعض يرفع الكراتين فوق عربات يد بدائية ويدفعوها من كالوس لآخر. يغنون وهم يعملون.

عامل1: فى نهاية كلِّ يوم نحصلُ على لا شيء مقابل الجهد والعناء.

عامل2: فليدق الجرس، فقد قاربتُ على السقوط من الجوع.

عامله1: نعم. لقد انتهت الورديةُ الأولى.

عامل3: قولوا لرئيسِ العمال أنْ ينظرَ في ساعته!

عاملة2: لن يسمعَ لكم رئيسُ العمال. خلوا فانتين الجميلة تطلبها منه. **(يضحكون)**

عامل4: نعم. عينهُ منها وهيه دلقاه.

رئيس العمال: (يدخل معه عصا كالتى يحملها جافير وتقريبا نفس الملابس مع الفارق) لماذا اسمعُ هَمْسًا ولغطا أثناءَ العملِ؟ هل تتقاضونَ أجوركم للرغي والنميمةِ؟ **(يسكت الجميع وينهمكون فى العمل بينما هو يمر مشرفا)** أين فانتين؟ لستُ أراها بينكم. **(ضحك مكبوت)**.

عاملة3: (تغيظه) يمكن عند السيد مادلين مدير المصنع، عمدة البلد.

رئيس العمال: لم أطلب منك جوابا. **(لنفسه)** ماذا تفعلُ عند المدير؟ أكيد بتطلب سلفه

كالعادة. لا يلتفتنَّ منكم أحد حتى نفْرُغَ من الطلبية اليوم. (**يدق جرس الفسحة فيترك الجميع أعمالهم في هرج ومرج**).

الجميع: أخيرًا جرسُ الغداءِ. إلى الطعَام أيُّهَا الجياع!

رئيس العمال: صَبْرُكُمْ عليا حين يدقُّ جرس الوردية الثانية. سأعرف حسابي معكم.

عاملة4: (**يتحلقون في حلقات حول الطعام ويأكلون**) أرأيتم كيف يتميزُ من الغيظ رئيس العمال؟

عاملة1: أنفاسُهُ يتصاعدُ منها الدخان. أعوذ بالله!

عامل1: أنا عارف سبب الحريقة اللى هو فيها.

الجميع: فانتين! (**يضحكون**).

عاملة2: تأبى أنْ ينال غرضَهُ منها.

عامل3: بنتْ شريفة!

عاملة2: بت معلمة. لكن لو دفعلها المعلوم بكفاية ...

عامل4: دعونا من هذا الكلام وليخبرنى أحدكم هل يكفيه راتبه بعد دفع إيجار الزريبه اللى بينام فيها والأكل وحساب البقال والديأّنه؟

عامل1: عيشة تسد النفس.

عاملة4: هنا نأكل الفتات، وفى البيت تلتهمُ الأفواهُ الجائعةُ حَصِيلةَ اليوم كله.

عامل3: والعمدةُ صاحبُ المصنع ولا على باله.

عاملة3: كلُّ الأثرياءِ مثلُهُ. آه لو رضي يتجوزنى. (**يضحكون**)

عامل2: (**تتحول أصواتهم لخلفية لما نراه من مشهد فانتيت**) على إيه يا حسرة؟؟

عاملة2: أهي عيشة! المهم أن تمتلِئَ البُطونُ بالطعام.

عاملة3: أنا أقول لنفسى دائما: أنا محظوظة أن لديَّ عمل والسلام.

فانتين: (**بينما تدخل فانتين تقرأ خطابًا وهي حزينة فى بؤرة ضوء خافت**) عزيزتى فانتين، أذكرُكِ بالتزامِكِ القديمِ نحوَ ما وَعَدْتِ به.

عاملة1: (**تتسللُ من وراء فانتين وتقرأ**) ... ما هذا يا أختى الصغيره البريئة؟

فانتين: (**تخفى الخطاب**) لا شأن لك. اتركيني واذهبي لحالك.

عاملة2: (**فى شغف**) صحيح يا فانتين، أرينا ما تُخفينَ وراءَ ظهرِكِ.

عاملة1: (**تخطف الخطاب منها**) هذا ليس أول خطاب نراكِ تقرأينَهُ في الخفاءِ. (**تقرأ للجميع الذين تجمعوا**) عزيزتى فانتين أذكرُكِ بالتزامِكِ القديمِ نحو ما وعدت به...

الجميع: سِيدى يا سيدى!

فانتين: ردِّي إليَّ ما أخذتِ. هذه شئوني ولا أحبُّ أن تقالَ على الملأ.

عاملة1: نرجو إرسالَ مَبْلغٍ آخرَ مِنَ المَالَ، فطفلتُكِ مريضةٌ وتحتاجُ إلى طبيبٍ بأسرعِ وقت.

الجميع: طفلتها؟؟!!

فانتين: أعطني الخطابَ قلتْ! (**تحاول أن تأخذ الخطاب فيقذفونه لبعضهم**)

الجميع: (**جُملْ توزعُ على المجموعة أثناءَ المُطَاردَةِ وتقاذفُ الخطاب**) اظهر وبان عليك الأمان! أيوهَ كده يا سهتانة. كنتِ تُخفينَ عشيقًا وطفلة؟ مِنْ أين جئت بهذه البنت. أكيد من السفاح. وعاملة علينا سِتِّ الشرف! ملعونة! (**تبدأ معركة بين فانتين والآخرين**)

فانتين: اخرسوا! لا تحركوا ألسنتكُمْ بهذه الكلماتِ البذيئةِ. أنا أشرفُ منكم جميعًا. كلُّ واحدةٍ منكن عِندَهَا بيتٌ وزوجٌ وتعيشُ فى أسرة أيًّا كانت! أنا لست مثلكن! كل واحدة منكم لديْهَا ما تحبُ أن تخفِيهِ عن الآخرين. هاتِ الخطابَ أيَّتُها اللعينة.

تدورُ معركة بين البنات، والرجال يشاهدوا ويتحول المشهد إلى مباراة مصارعة وأحد الرجال ينبطحُ أرضا علي على بطنه ويقوم بدور الحكم ليرصد النقاط. يصفرُ الحكم والجميع يعبثون فى حالة شماتة وهرج.

رئيس العمال: (**يدخل مُسرعا يطلق صفارة كبيرة ويطارد الرجال بعصاه ضربا على مؤخراتهم**) أوقفوا هذا الهرج! أقسِمُ أنْ أخْصِمَ لكلِّ واحِدٍ مِنكمْ نصفَ يومٍ وأضاعفَ عليهِ العملَ! (**يتوقف الشجار وفانتين حزينة مهزومة تبكي**) فليخبرْنِى أيُّ حمارٍ مَنْ بدأ الشجار؟؟

عاملة1: هي التي بدأتْ.

الجميع: (**جمل توزع**) إنَّهَا تُخْفِى طِفلة. فانتين أمٌّ وعِنْدَهَا بنتٌ مِنَ السِّفاح. نعم فلديها عشيق يُراسِلُهَا. (رئيسُ **العمال يلتقط هذه الاخبار سعيدا**) ويريدُ منها أن ترسلَ له نقودًا. خمن إنت بقى! منين الفلوس الزيادة التي ترسلها له من أجل طفلتها المدللة؟ أكيد من المشي البطال.

رئيس العمال: فانتين الطاهرة عندها كل هذه الأسرار؟ (ينتحى بها مغريا) مش كنتي تقولي لي وأنا أظبطك! (**يرفع صوته**) السَّيِّدُ صاحبُ المصنع وعمدةُ المدينةِ لنْ تعْجِبَهُ مثلُ هذه المسائلِ فى مصنعه. (**لفانتين على جنب**) كِدا وكدا يا بت! (**يرفع صوته**) أخبريني يا فانتين بكلِّ صراحةٍ؛ هل عندكِ طفلة؟

فانتين: نعم.

رئيس العمال: قشطة! (**يستدركُ مستعيدا قناع الرئيس**) كيفَ هذا يا آنسة؟؟

فانتين: هذه الطفلة ابنتى، وقدْ تركنا أبُوها مُعْدَمِينَ واخْتَفَى حِينَ ثقلتْ عليْهِ أعْبِاءُ الحياةِ ولا فرصة عمل. الآن أترُكُهَا تعيشُ مَع صاحبةِ نُزُلٍ وزوجِهَا، وأدفع لهُمَا كلَّ ما أكْسِبُ مقابل رعايتها. هل هذه جريمة؟!

الجميع: (**جمل موزعة**) كلهنَّ يَقُلْنَ مَثلَ هذا الكلام. الأشكال دى مايجيش من وراها غير المتاعب. نحنُ نكدَحُ ونعملُ بشرفٍ، وهى بتكسبُ فلوسها من اللي بالي بالك. النهارده فيه طفلة، بكرة فيه قصة جديدة، وغيرها وغيرها. لابد من طردِهَا مِنَ المصنع. سُمعتنا عندنا أهم حاجة. ودى ح تشبهنا معاها. اطردوها!

رئيس العمال: (**كالافلام العربى**) يا خسارة يا فانتين يا ألف خسارة. (**على جنب لها**) كدا وكدا (**معلنا**) كان لازم أعرف أن الكلبة بتعض والقطة بتخربش والفار ليه ديل بيلعب بيه..(**على جنب**) ولا يهمك (**معلنا**) وأنا اللي كنت فاكرك الطاهرة العفيفة البريئة؟ أتابيكى بتمثلى دور

العذراء والشعر الأبيض! (**على جنب**) عندى ليكي بياتة كدا. (**معلنا**) إخص عليكي يا فانتين! (**على جنب**) أنا واد فييس ومقرش وأعجبك.

الجميع: كانت بتستغفلنا كلنا. اطردوها! اطردوها!

رئيس العمال: ديمقراطية حرة وأغلبية! أنت مطرودة يا فانتين. (على جنب يقدم لها مفتاح) المفتاح أهه. (**يدق جرس الوردية**) كله على شغله! (**على جنب**) أنا جي وراكي هَوَا.

فالجان: (**يظهرُ فى رداءٍ جميل ثري وقد شابَ شعرُهُ دليل مرور السنين**) ماذا يدورُ هنا يا رئيس العمال؟ ألم يسمعْ الجميعُ الجرس؟ هلْ سيضيعُ الوقتُ ولا نفي بالتزاماتِنَا في موعدها؟

رئيس العمال: سيدي العمدة، نحنُ فى تقدمٍ والعملُ منضبطٌ كما يُحبُّ سيدي. (**يخفى فانتين وراءه ويدفعها بعيدًا**) هيا إلى العملِ نتَ وهوَّا. أقسم أن أخصم لكم نصفَ يوم إذا لم تنضبطوا فى عملكم.

فالجان: لا تخصِمْ منْ أجرِ أحدٍ. (**يقتربُ من فانتين بينما رئيس العمال يحول بينهم**) من هذه البنت ولماذا لا تعمل؟

رئيس العمال: هي ليستْ منْ ضمن العاملات يا سيدي العمدة.

فالجان: (**يقترب من فانتين**) ما بكِ أيَّتُهَا البنت؟ هل لديك ما تُحبين قوله؟

فانتين: نعم يا سيدي لدي ما أقول: إنِّي أرحِّبُ بالخروج مِنْ مكانٍ يَضُمُّ الوحوشَ والأفاعي. فلحظة فِي جَحِيم الظلم لا تُداويهَا سعادة الدنيا كلِّهَا. مصنعُكَ سجنٌ، أنتَ مُديرُ السجن! الكل هنا عَبِيدٌ القرشِ، وقدْ جاءَ وقتُ الإفراج عَنِّي. (**تخرج**)

فالجان: انتظري من فضلِكِ. (**لا تعيره اهتماما**) مصنعي سجنٌ؟ وأنا مكانُ جافير؟؟ يا ويلي. كأنَّ السنينَ لمْ تمرَّ! (**إظلام على المصنع**)

فانتين: (**وحيدة في الظلام بينما يتبدلُ المشهدُ خلفهَا حيثُ تغني أغنية تترجمُ الحزنَ وخذلانَ الدُّنيَا لها والقهرَ والظلم**) عَرَفْتُ زمانًا كانتْ قلوبُ النَّاس رقيقةً شفوقة. لكنَّ الفقرَ عَلَمّ الناسَ الكذبَ والنفاقَ والظلمَ. فماتَ الحب. آهٍ يا أحلامَ الغدِ المنهكة الحزينة! أمَا لهذا الخريفِ مِنْ زوالٍ؟ لقدْ مللتُ الوقوفَ وحدي في وجهِ العاصفةِ! آهٍ يا كوزيت يا طفلتي المريضة، يا يمامَتِيَ الرقيقة! كيفَ أعولُكِ وقد صِرْتُ بلا عملٍ؟ هل أغلقتْ كلُّ الأبوابِ فِى وجْهِي؟؟ ألمْ يبقَ سوى شارعُ البغاءِ أبْحَثُ فيهِ لشَرَفِي عَنْ قبرٍ، ولفَمِكِ الصغيرِ عنْ قوتهِ والدواء؟! (**أصواتُ الغناء من شارع البغاء تتناهى إلى مسامعنا وقد اكتمل تبديلُ المشهد**) هل يدفعُ الشرفُ ضريبة الرذيلة؟؟ ماذا أفعل؟! (**تختفي**)

إظلام

اللوحة الثالثة

حيِّ النور الأحمر

أضواءٌ حمراءُ صارخة. رصيفٌ ممتدٌ بحذاءِ قطر مستطيل أرضية المسرح، أعمدة النور بطول الرصيف. بنات ذوات ملابس صارخة تقف كلُّ واحدةٍ خلفَ عامود، يبدأن

الـرقص والتمايـل فـي دلال، ويطـرقن الأرض بكعـوب أحـذيتهن كإيقـاع عـام للمشـهد. السكارى يترنحون ممسكين زجاجات الخمر في كل مكان.

استعراض على ايقاعات طرقعـة أصـابع وكعـوب أحذيـة النسـاء ورنـين كـؤوس الخمر والزجاجات...الخ

أغنية تدل على حب والليل والمتعة والضياع

ينتهى الاستعراضُ. صوتُ عربةِ حنطور بالخارج تنحدِرُ بشدة وسرعة. يلتفتُ الجميعُ على المسرحِ نحوَ الكالوس يمين الصالةِ والذي تحدثُ فيـه الضَّجةُ والصِّياح ثـم يـدخلُ بحار1 وبحار2 في حالة سُكر بينما يتباعدُ صوت العربة.

بحار1: (**يرمى بالعنات بالخارج**) اللعنة عليك أيها الحُوذي!

بحار2: يا عم إبقـى خُذْ بالـك. كـادَ يقتُلُكَ المُلعون. عربَـاتُ الحنطـور تنـدفعُ بجنـونٍ فـوق هـذا المنحدر. بالأمس فرمتْ إحداها مُزة حلوة.

بحار1: (**سكران يلتفت**) فرمتهـا؟؟ ياخسـارة وماتـت؟ (**يدفعـه زميلـه فيفيـق قلـيلا**) أشـم رائحـة نساء.

بحار2: حَسِّنْ ملافظك ياعم! اسمها مزز.

بحار1: مزز؟؟

بحار2: أمال!! مزة، مُؤة، دِنيارة، برأة، هشكة، وتكة، مُهرة، حَزَبَة... كدا يعني!

بحار1: باين عليك خبير.

بحار2: أخوك مقطع السمكة وديلهـا. معـروف هنـا بالسـريع. بـص واتعلـم. (**يقتـرب مـن إحـدى البنات** مستعرضا **شطارتة**) أنا السريع يا حلوة. خرمـت التعريفـة وعـديت مـن تحـت القطـر، هُبالالالا...! (**البنت تستعرضه باحتقار ثم تعرقلة أرضا فيسقط مهانا. الجميع يضحكون**)

العجوز: (**امرأة عجوز تنـادى فـانتين التـى دخلـت تائهـة تبحـثُ بعينهـا فـى المكـان**) تعـالي يـا حبيبتي الصغيرة، أريني قطعة الحُلى حول رقبتك.

فانتين: (**تتلمس السلسلة فى أسى**) سوف أبيعُهَا لكِ. كم ستدفعين؟

العجوز: أربعين.

فانتين: هذا لا يساوى ثمن السلسلة فقط. أحتاج لأضعاف هذا المبلغ لقوتِ وعلاج طفلتي.

العجوز: أذنْ أعطيكِ خمسين يا حلوة. (**قبل أن ترفض**) واذا رفضـت هاسـيبك وامشـى. والمكـان مليان لصوص وولاد أبالسة.

فانتين: أمرك سيدتي. رغم أنها كلُّ ما أملِكُ. (**تتنـاول النقـود مـن السـيدة التـى تغمـز للأخريـات بملاحقة فانتين لسرقة النقود**)

بنت1: (**تتلمس شعر فانتين فى ميوعة**) خصلات شعرك طويلة وجميلة يا بت!

باماتابوا: (**فى ركن آخر من المسرح مع صديق له يتابعان فانتين**) بص هناك!

قواد: جُونلة جديدة هنا؟ نشوف شغلنا!

باماتابوا: انتظر. نتفرج أولا!

بنت2: تيجي تشتغلي معانا؟ للشعر الطويل زباينة يا حلوة!

فانتين: لا تلمسيني. دعينى وشأني!

بنت3: البنتْ ضد اللمس. **(يضحكون حولها)**

بنت4: هي للعرضِ فقط. **(تجذب فانتين من شعرها فجأة)** تبيعي شعرك الحلو ده؟

فانتين: أعول طفلة وأحتاج لنقود كم تدفعين؟

بنت3: خمسة ماشى؟

بنت2: لا قليل. عشرة والمقص معايا. **(تشهر مقصا من صدرها)**

فانتين: لا تعْبَثنَ معي. أنا مش منهم!

بنت1: واحنا كمان. **(تضع أوراقا مالية فى كف فانتين)** اتفضلى!

فانتين: ليس فى الدنيا خيرٌ، ماشى. **(تسلم ضفائرها لهن وواحدة تقص شعرها)**

بنت4: سأُعلمُكِ درْسًا يملأ بالنقود حِجْرَكِ وأنت نايمة. **(وحوار جانبى)**

باماتابوا: تعولُ طفلة وتحتاج للنقود.

القواد: كلُّ امرأةٍ تسقطُ وراؤها رجلٌ دفعها للسقوط. نشتغل بقى!

باماتابوا: سيبها تأخذُ الدَّرْسَ أولا.

بنت1: أنا أنصَحُكِ لمصلحتك.

بنت2: لم يعُدْ لديكِ ما تبيعينَهُ لأجلِ ابنتك.

بنت3: كلنا بدأنا كذلك.

بنت4: والدنيا ظالمة وبنت لذينة. لو شئت تركت كوزيت تموت.

فانتين: لا! أموت أنا وتعيش هي.

بنت1: موتُكِ لن يُحْيِيهَا. ولكنْ العمل الحُر يُدِرُّ الكثير.

فانتين: لا أملك أن أررفضْ. فليأخذوا ما يأخذون ويعطونى المال. كيف أفعله؟ علميني.**(حوارجانبى)**

القواد: طالَ الدرسُ.

باماتابوا: ولكنه جاب نتيجة. خش!

القواد: **(يقتربُ من فانتين)** لا تأخذي المسألة جد هكذا. كلنا هنا نمرح ونكسِبُ كي نبصقَ على الدنيا باللى فيها.

فانتين: من أنتَ؟

بنت1: لا شأنَ لكِ.

القواد: أنا أبيع الحَلوى يا حلوة. **(يشير إلى باماتابوا ليأتي)** وقد اشترى السَّيِّدُ وأنا بعتُ له.

باماتابوا: تسمحي؟

فانتين: عيونكُمْ مليئة بالكراهيةِ. أفواهُكُمْ يفُوحُ مِنْهَا العفنُ.

القواد: (**يمسك بذارعها بقوة مهددًا بالضرب**) تعلمي كيف تخاطبى الزبائن بأدب!

فانتين: أنتُ تبيعُ القذارة لكلبٍ جائع. اتركوني.

باماتابوا: أمَّا انتي بجحة بصحيح ! أنا أشترى بضاعة ولى أنْ أُقلِّبَ فيها قبلَ الدَّفْعِ. مثلُكِ لا تمْلِكُ الرَّفْضَ. (**يمد يده عليها فتصفعه بقوة**)

فانتين: أبْعِدْ يدَكَ أيُّهَا الفأرُ القذر!

القواد: (**يُمسكها من ذراع و باماتابوا من الذراع الآخر**) ستدفعين ثمن هذه الوقاحة يا حشرة!

باماتابوا: سأجعلُكِ تصرُخينَ مِنَ الألم يا بائعة القمامة!

يصفعها فتصرخ ويلتف الجميع حولها فى دائرة ويشاركون فى ضربها والبنات يعانقنها يفتشن فى صدرها عن الأموال التى قبضتها.

القواد: هل هُناك من تجرؤ على الإخلالِ بنظام السوق؟

بنت1: كلبة متكبرة. (**وقد سرقت أموال فانتين فتوزع على البنات**)

بنت2: تستاهل الشنق!

بنت3: لستِ أفضلَ من الآخريات.

العجوز: (**تأتى لتجمع نصف نصيب كل بنت من السرقة**) ألقوا بها خارج الحيّ، ح تشبهنا!

باماتابوا: (**يمسك بفانتين من شعرها من الخلف ويقربها لوجهه**) أظنُّ عَرَفْتِ كيفَ تعتذرين لأسيادك.

فانتين: لستُ بائعة هوى. اتركوني أمضي وشأني.

القواد: بل نبلغُ البوليسَ عنك أيتها اللصة المُجرمة.

فانتين: أرجوك يا سيدي، إلا البوليس. سأفعلُ ما تريدُ.

جافير: (**يدخلُ من أحد الأركان حوله شرطيان وقد شاب شعرُهُ كثيرًا عن أول مشهد**) ما الحكاية ؟ من رأى ماذا ولماذا وأين؟ جافيرُ مفتشُ الشرطةِ يطلبُ وصفا تفصيليًّا للمشاجرةِ.

الجميع: (**فى رعب**) سيدي جافير؟؟ هي التي بدأت. إنها لصَّةٌ تتجرأ علينا. خذها للمخفر يا سيدي.

باماتابوا: (**وقد اقترب منه جافير مُهتما**) كنتُ... كنت مَارًّا بالحديقةِ فهاجمتني هذه المتوحشة. آثار أظافِرِهَا في هنا رقبتى. انتظر!

جافير: **يمسك بذراع فانتين ويلويه لأعلى فتنخفض رأسها إلى الأرض متألمة**) ستدفعُ ثمنَ هذا فى المخفر وأمام القضاء. (**غناء مقطع من اللحن الأول**)

فانتين: هناكَ طفلةٌ في أشد الحاجةِ إلى يا سيدي. إن أودعتني السجنَ فإنكَ بذلكَ تقتلها. الذين صنعُوا الفقرَ والجوعَ أولى بمكاني. طفلتي تموتُ جوعًا.

جافير: وسوف نموتُ جوعًا إذا لمْ يعرفْ أمثالُكِ حُدُودَ القانونِ. وفِّري دُمُوعَكِ وسيري أمامي. (**يخرج بها فيواجه فالجان داخلا**)

فالجان: قفْ مكانَك يا جافير! (**يخطف فانتين من ذراعه ويمسح دموعها ويخفيها خلفة**)

الجميع: (**فى لغط**) العمدة. عمدة المدينة وصاحب المصنع. مسيو مادلين!

جافير: سيدي العمدة! أنت تقفُ في وجهِ القانون.

فالجان: أنا العمدةُ وأحمي القانونَ مثلك. ولكنْ يجبُ أن يكونَ للقانونِ قلبٌ. (**ينصرف إلى فانتين المنهكة**) تُرى ماذا سيكونُ مصيرُ هذه المسكينةُ هي وطفلتُها إنْ لمْ تجدْ صِدِيقا في الدنيا؟

فانتين: لا تسْخَرْ مِني يا سيدي. لقد رأيتَ رئيسَ عُمَّالِكَ يَطرُدُنِي مِنْ مَصْنَعِكَ، ورأيتَ دموعَ توسُّلاتي بعينيك، ثم أشحتَ عني بوجهك. أنا لم أرتكبْ جُرْمًا. (**فالجان وفانتين كل يأخذ جهة للصالة ويغرق في مناجاة منفردة تتضافر كلماتها**)

فالجان: أصَحِيحٌ أني ارتكبْتُ هذا في حَقِّ رُوحٍ بريئة؟!

فانتين: ابنتي على وشكِ الموتِ جُوعًا!

فالجان: لو أني ساعتها أعرف ما فعلت...

فانتين: لو أنَّ فِي القلوبِ ذرةُ خيرٍ ما جاعتْ طفلتي.

فالجان: ما أشبه كلماتُكِ البائسةُ بكلماتِ فالجان الطرِيدِ البائس

فانتين: لو أنَّ حياتي تساوي شيئا لبِعْتُهَا لتعيشَ طفلتي.

فالجان: وعزةِ الله لقدْ بَدَأتْ مُهِمَّتِي.

فانتين: أين الرحمةُ في هَذا العالم؟

فالجان: هو دَيْنٌ عليَّ لِمَنْ رَدَّ النُّورَ إلى رُوُحِي.

فانتين: فليُجِبْنِي إنسانٌ أو فليَدُقَّ رأسي فأموتَ لأستريحَ!

(**صوت عربة حنطور**)

فانتين: (**تصرخ فى الجميع**) ملعونٌ عالمُكُمْ هذا وبَغِيضٌ! أفلا يخطفني الموتُ لأخرجَ مِنْ جحِيم حَيَاتِكُم؟!

(**أصواتُ عربةِ حنطور مُسْرِعَة وتهربُ فانتين إلى مصدر أصوات العربة**)

الجميع: هربَتْ البنت! احذروا! عربة مندفعة على المُنحَدَر! لقد صَدَمَتْ البتَ الهاربة! لا تقتربُوا! إنها محشورة بين العجلات! يا للمسكينة! لا أحدَ يستطيعُ أنْ يفعلَ شيئا!

فالجان: (**يُوسع زحام المتفرجين**) ألا يتحركُ أحدُكُمْ لينقذَ المسكينة؟ (**يخلع جاكيت البدلة ويندفع للخارج**)

الجميع: (**جمل توزع**) لا تقتربْ يا سيدي العُمدة! فالعربةُ مُحمَّلةٌ بأحمالٍ ثقيلة. إنها عربة تابعةٌ لمصْنَعِهِ. إذا حَاولَ إنقاذها فسوفَ يَمُوتُ معها. إنه يُنقذها! إنه يرفعُ العربة على كتِفِهِ. يا للرَّجُلِ القوى؟!

بحار1: (**لزميلة**) قرّيتْ يا فالح؟ أهي المزة اتفرمت!

جافير: لا أصدِّقُ ما تراهُ عيناي. إنه يُنعش ذاكرتي. في مثلِ سنه ولديه هذه القوةُ العضلية؟ إنه يُذكرني بالسجين 601 الذي كان تحتَ المراقبة منذ عشرة أعوام، واختفى. لكنه لن يهرب للأبد.

فالجان: (**يدخل يشارك فى حمل فـانتين مـع البنـات والسـيدة العجـوز يفـرش لهـا جاكـت بدلتـه ويجلسها ويجلس بجوارها**) آتوني ببعض الماء. هيا بسرعة!

جافير: (**بنفس الجمود**) تسمحْ بكلمةٍ يا جنابَ العُمْدة؟؟

فالجان: (**وقـد أتـوا بالمـاء**) يُمكنـك أنْ تنتظـرَ يـا جـافير. (**فالجـان يسـقى فـانتين بينمـا جـافيير يشاهد قليلا ثم يخرج**) تكلَّمِي يا بُنيتي، بماذا تشْعُرين؟

فانتين: بالحريةِ. (**تهمس الموسيقى**) أشعرُ أني أتحرَّرُ مـن سِجنِ الحَاجـةِ، وبخـلِ البُخلاءِ. لـي طفلةٌ ما أجملها، لكنى محرومةٌ الآنَ من عناقها وتقبيل جبينها.

فالجان: هل يعرفُ أحدُكم أين طفلتهـا؟ أيـن بيتهـا؟ أهلهـا؟ (**الجميـعُ يهـزون رأسـهم بـالنفى فـى بؤس جماعي**) اطمئني يا بُنيتي. أنتِ في سلام!

فانتين: في سلام، نعم. مادمتُ أمضى بعيدًا. (**تهـزى**) طفلتـي كوزيـت أيضـا سـتكون فـي سـلام. كنـتُ أودُّ أن أشـترى لهـا فطيـرةَ العَسَـلِ والزُّبْـدِ، فهـي جائعـةٌ مريضـة. (**تنـادى فـى هـزال**) كووووزيت!

صوت كوزيت: (**من أوهام فانتين وقد ظهرت طفلة صغيرة فى بؤرة بعيدة**) يااااأمي!

فانتين: هاهي طفلتي يا سيدي. إنها تقفُ هناك. هل تراها؟ (**ينظر ولا يرى الطفلة**)

فالجان: اهدئي يا بُنيتي. ستكونين بخير.

فانتين: (**تكلم الطفلة**) الدنيا برد يا بنتْ وكنتِ تلعبينَ طـوالَ النهـار. تعـاليْ إلـى حُضـني فـالبردُ شديدٌ. (**يلتفُ الجميعُ حولها في نصفِ دائرةٍ وفالجان يسند ظهرها**)

فالجان: يا إلهى. إنها تهزي. هل مِنْ طبيبٍ قريبٍ مِنْ هنـا؟؟ (**الجميـع يهـزون رءوسـهم بـالنفي في بؤس وقد تأثروا حين رأوا في حالها مصيرًا ينتظرُهُمْ**)

فانتين: اقتربي ولا تخافي. أنا أمك يا كوزيت. (**تعانق طفلة وهمية**) نعم هكذا!

صوت كوزيت: (**غناء**) ياااااأمى وحشتنى عنيكي.

فانتين: (**تغنى**) الدنيا برد، الدنيا برد، وف برد الليل، بيموت الورد.

فالجان: (**يبكى**) يا لبؤسِ الإنسان! لا تموتي يا فـانتين. سيكون الغـدُ أفضـلُ والحيـاةُ أجمـلُ. هـذا وعدى لكِ. ستعيشُ طفلتك في بيتي. في حمايتي.

فانتين تغنى أغنية تدل على الأمل

فانتين: يااااااكوزيت (**ايكو**)

صوت كوزيت: ياااااااأمى (**ايكو**)

فالجان: طالما أعيشُ فلن يستطيعَ أحدٌ أنْ يُلحِقَ الأذى بكوزيت.

فانتين: خذها يا سيدي وارْعَهْا لأجل خاطر الله الكريم. أنا لا أملك ما أدفعـه ثمـن لـذلك، غيـر أنَّ اللهَ سيجزيك أجرَكَ إنْ كنتَ تؤمنُ بالله الذي خلقنا.

فالجان: والله الذي خلقنا يا فـانتين، لأتخـذن مِنْهـا ابنـة لـي حتـى المـوت. واسـأليني أمـام اللهِ عَـنْ أمانتك تلك.

15

فانتين: ما أطيبَكَ يا سيدي العمدة! أرجوكَ كنْ بجانبي حتَّى أنام. وقل لكوزيت: إني أحبها كثيرًا، وسأرها ... حين أصحو من النوم. **(تموت على ذراعه)**

موسيقى اللحن السابق بمؤثرات حزينة. أثناء ذلك تعيدُ البنات كلَّ الأموال التي سرقنها من فانتين بأن يمر الجميع يلقون على جسدها كل ما أخذوا حتى ظفائر شعرها من ارتفاع اليد وتلقي العجوز بالسلسلة والكل يلقي بنظرة أخيرة عليها في طابور حزين لتلقي آخر البنات رداء كتفيها لـ فالجان فيُغطى به جسدَ ووجْهَ فانتين ويهم بحملها فيساعده الجميع ليخرجوا بها ليبقى فالجان آخرهم يخاطب بؤسه والشقاء.

فالجان: أيُّهَا الشقاءُ المرسومُ على جُدران المدينة! أيها البؤس الذي يعصرُ البؤساء في كلِّ يومٍ بكل مكان من هذا العالم الضنين! أمَا آنَ لك أنْ تنقشع؟ أمَا لهذا الليل الثقيل من نهاية؟ آهٍ يا فانتين! أنت وابنتك! مَرَّتْ عشرة أعوام أصارعُ فيها البؤسَ ولم ينهزمْ بعدُ. ولكني أقسم لك بعذاباتك الطويلة، لأدفعنَّ الدَّيْنَ الذي طوَّقَ عُنقي لابنتِكِ المسكينة، وإلا فليمُتْ فالجان ملعونًا من البؤساء. **(يهم بالخروج لكنه يقابل جافير)**

جافير: ذكرَنِي ما فعلتَ اليومَ يا سيِّدِي بسجينٍ هَرَبَ مِنْ المُرَاقبَةِ مُنْذُ عَشْرَةِ أعوامٍ. قبضنا بالفعل على رجلٍ نشكُّ أنه هو، وسيمثل أمامَ القضاء غدًا، رغم إنكاره كلَّ صِلَةٍ بهروبٍ أو سجنٍ أو مُراقبةٍ.

فالجان: الأدلة يا جافيرَ! لا تأخذْ الناسَ بالظنِّ. هل مِنْ دليلٍ على أنه هو الهاربُ؟

جافير: الدليلُ موجودٌ يا سيدي. فرقمُ السَّجينِ محفورٌ على صدرهِ ككلِّ سجين. **(فالجان يُحكم الرداء على صدره)** حتى وإنْ حاول إزالتَهُ فسيبقى بالتأكيد أثرُ جرحٍ غائرٍ يُميزهُ بين كلِّ البشر.

فالجان: أيَّ هاربٍ وأيَّ وشم يا جافير؟عمَّ تتحدث؟

جافير: **(ينزع القميص فجأة من على صدر فالجان)** هذا الوشمُ يا سجين 601. فهل يُفضلُ جنابُ العمدةِ نوعًا آخرَ من الكلبشات؟

فالجان: قبلَ أنْ تضع الكلبشات فى يدي مرة أخرى يا جافير، عليَّ أنْ أنقذَ ابنةَ هذه السيدةِ قبلَ أنْ تموت. سأقومُ بواجبي ثم أسَلِّمُ نفسي بعدَ ثلاثِ أيام.

جافير: أطاردُكَ عشْرَةَ أعوامٍ، واليَوْمَ تقدِّمُ الوُعُودَ؟ مُدَّ يَدَكَ يا 601 قبلَ أنْ أطلقَ عليكَ الرَّصَاص.

فالجان: لا تُغلقْ قلبكَ يا جافيير. فِي عُنقي وعدٌ لامرأة ماتتْ على يدي.

جافير: لا تقدمُ المعاذيرَ أيُّهَا الهاربُ. أمثالُكَ من المجرمين لا يتغيرُ، وأمثالي من حُرَّاس القانون لا يتغيرون.

فالجان: صدِّقْ عنى ما تشاءُ، فأنتَ رجلٌ سَجَنَ نفسَهُ في زِيِّهِ الرسميِّ، ولن تفهمَ معنى أنْ يضيعَ عُمْرُكَ مُقابلَ رغيفٍ مِنَ الخبز. لنَ أطيلَ معك الكلامَ، ولكني أنذرُكَ. لن أتورَّعَ عن قتلك إن منعتني من الوفاءِ بوعدي يا جافير!

جافير: أتجرؤ على التهديد أيها الهارب؟ أنا لا أرى للسرقة مُبرِّرًا. وقبلَ أن تتمسح بالفقر والفقراءِ أخبرك أني مثلك؛ ولدتُ في الحواري وعشتُ البؤسَ الذى تتغنى به، ولكني عرفتُ كيفَ أختارُ طريقي. امشِ أمامِي للسِّجْنِ يا 601 **(يهم بإخراج مسدسه)**

فالجان: (**يشل حركة جافير ويأخذ المسدس**) اسمي جان فالجان. وقد مزقتُ صحيفةَ سوابقي وسأقيمُ العَدَالة في هذا العالم كما أرها. (**يُفرغ فالجانُ خزنة المسدس ويَدُسُّهَا في جيبه ثم يسلم المسدس لجافير**) إنْ أردتَ أنْ تموتَ فاتبعْنشي، فأنا ماضٍ فِي طريقي. (**يخرج**)

جافير: ستجدُنِي لكَ بالمرْصَادِ يا 601!

إظلام

اللوحة الرابعة

خان وخمارة ذناردييه

كوزيت الصغيره تمسح الأرض وتغنى لأمها. تعود للعمل حين تسمعُ بقدوم ذناردييه وزوجته.

م. ذناردييه: ما هذا يا بنت الأبالسة؟ تتظاهَرِينَ بأنَّك مقطعة نفسك من الشغل؟ أمك لم ترسلْ نقودَهَا العفِنةَ وأنتِ تتكاسلين في عملك، وفي الأكل ساحوقة؟!

كوزيت: أبدًا يا طنط. لقد غسلتُ الأطباق والأكوابَ والملاعق والشوك ومسحتُ الأرضية إنشلا أعدمك يا رب!

م. ذناردييه: إخرسي (**تضربها على مؤخرتها**) الزباين زمانهم جايين جيوبهم محشوة بالنقود، وأنت تضيعين الوقت؟

ذناردييه: (**نشيطا**) ها؟ هل المكانُ مستعدٌ لتلقي الزبائن؟ (**يقذف بـ لكوزيت لزوجته**) خذي هذه الزبالة من هنا قبل أن أرميها في الشارع. (**يعدل وضع الترابيزات والكراسي**) لدينا اليوم وليمةٌ كبيرةٌ من البحارة، فقد رَسَتْ سفينتان في الميناءِ

م. ذناردييه: سفينتان؟ هل سيُعْجِبُهُمْ الطعامُ والشرابُ عندنا؟ الأكل بايتْ من الأمس، والخمر كله مغشوش، ولا توجد زجاجة واحدة مُعَتَّقة يا ذناردييه.

ذناردييه: لا يُهِمُّ. حين يسكرُ الزبون لا يُميز ما يشرب أو يأكل. عالم صيِّعْ ولاد أبالسة. المهم حُسن الضيافة واللسان الحلو. (**لكوزيت**) اذهبي واغسلي الحمام جيدًا.

كوزيت: غسلته مرتين يا عمي إياك تتعمى!

الاثنان: اخرسي!

إبونين: (**طفلة في سن كوزيت**) بابا بابا أنا عاوزه فلوس أشتري حلاوة.

م. ذناردييه: حبيبتي الحلوة إبونين ابنتي الجميلة، ما أجمل ثيابك يا روح قلبي. أعطها ما تطلب يا ذناردييه.

دناردييه: إبونين! ابنتي الحلوة. الحلوى بتسوس السنان. خذي شلن العبي بيه وهاتيه تاني.

كوزيت: وأنا يا عمي ربنا يخليك أعطني مثلها.

الاثنان: اخرسي!

م. دناردييه: امشي اغسلي الحمام مرة أخري وإلا ألهبتُ ظهرَكِ بالعصا. (**لإبونين**) روحي يا حبيبتي ولا تتأخري (**تخرج مع م. دناردييه**)

زبون1: (**يدخل مع اثنين آخرين**) أنت يا ذناردييه يا صاحبَ الخان القذر.

دناردييه: تفضلوا يا سادتي الأفاضل، ذناردييه وكل الخان تحت أمركم.

زبون2: لا نأخذُ منك غير الكلمات الحلوة. هات زجاجة من النوع المضمون.

دناردييه: عندي لك نوع يُدير الرأس من أول كأس. وما أبقاش ذناردييه إن ما تولك.

زبون3: ح نشوف حالا. وهات لنا شيء يؤكل ولا صيب بالتسمم.

دناردييه: حالا يا سيدي الكريم.

زبون4: أربع كؤوس روم هنا يا صاحبَ الخان.

دناردييه: حالا يا سادتي.

زبون5: هل تعرفُ قصة هذا المُحتال ذناردييه؟

زبون6: الكلُّ يَعرفُها. حضرَ حرب واترلو بعد ما خلصت، وفتش جيوبَ الجُنودِ القتلى، وطلع بثروة، وأقامَ هذا الخان مِنْ دِمَاءِ الجُنوُدِ والأهالي.

زبون2: المَلعُونُ يَعْرفُ كيفَ يصْطَادُ الزبائن.

دناردييه: تفضَّلوا يا سَادَتِي. لا يُمْكِنُ أنْ يَدَّخِرَ ذناردييه جهدًا في إسعادِ زبائنـهِ الأكـابر. ذُقْ هـذه من يدي يا سيدي.

زبون1: (**يتذوق الطعام ويبصقه**) إيه دا؟؟؟ شوربة كلاب؟؟!

دناردييه: إنه حساء الكوارع يا مُحترم، يَرُمُّ العضم صحيح!

زبون2: (**بعد أن شرب كأسا**) نبيذ مقرف. هل عصرْتَهُ برجليك المعفنة هذه؟؟

دناردييه: (**لنفسه**) آهٍ يا شلةَ الصيَّعْ المُنحلين. هذا الطعام لا أقدمـه ولا للحمير. لكنكم تسرقونَ الناسَ وتغشون البضائعَ وتحتالونَ على خلق الله. أنا أرد لكم بعض ما جنيتم. (**يرحب بزبون قادم**) أهلا بكَ يا سيدي الكريم. تفضلْ هنا. أعرفك بنفسي، أنا أشرفُ صاحبِ خانٍ في هذا البلد. عملة نادرة طبعا. الآخرون مُخادعون. أما أنا فأستطيعُ أن أرفِّهَ عن زبائني التعساء، أحكي لهم النكت لأسليك.

الجميع: طب سمعنا آخر نكته يا دناردييه.

دناردييه: عنيه. برص بيقول لبرص زميله: أنا لولا الخمرة والحريم كنت بقيت تمساح. (**الجميع يضحكون**) خدوا دي كمان: فار سكر وقف يقول ينعل أبو القطط. (**يضحكون**)

م. دناردييه: (**فى يديها أطباق تضعها على ترابيزة أحد الزبائن**) أهلا بكم في هذا الخان يا سادتي. الأكل عاجبكم؟؟

زبون4: تعالى أقعدى معي ياحلوة.

م. دناردييه: بعدين حد يقول لأمك! (**ضحك**)

زبون3: السيدة تحتاج إلى رجل من النوع المضمون.

م. دناردييه: عملت العملية ولا لسه مقضيها مع المدام زغزغة؟؟ (**ضحك**)

الجميع: (**انتشوا من الخمر والضحك**) فليحيا السيد دناردييه تحيا م. دناردييه!

م. دناردييه: (**لنفسها**) عيني عليا وعلى حظي. عشت أحلم أن أتزوج أميرًا بحَّارًا أجوبُ معه العالمَ ويُلبسني الحُليَّ والثيابَ الفاخرة. لكن حظي اللعين أوقعني مع هذا النصاب. فيلسوف غبي، وبخيل جلدة، وابن لذينة، يلعب بالبيضة والحجر.

دناردييه: (**يجرى إليها عندما يرى فالجان يدخلُ وهو يحمل كوزيت على ذراعه في عطف وفى يدها فطيرة تأكلها**) مَنْ يكونُ الرجلُ؟ يبدو من هيئتِهِ أنه صاحبُ حيثية.

فالجان: (**للطفلة كوزيت**) هل أعجبتكِ فطيرُ العَسَلِ والزبد؟

كوزيت: قوى يا عمو. كان نفسي فيها، وماما وعدتني أنْ تُحْضِرَهَا لي. إنت جي من عند ماما؟

فالجان: طبعا. وقال لي إنها تحبك جدا جدا جدا!

م. دناردييه: لماذا يحملُ كوزيت على يديه هكذا؟ اذهب إليه!

ذيناردييه: (**يتقدم لفالجان وهي خلفه**) أهلا بك يا سيدنا المحترم.

م. ذيناردييه: هل ضايقتك هذه العفريتة المقرفة؟

ذيناردييه: بالتأكيد شحتت منك. أستطيع أن أعاقبها إذا شئت.

فالجان: وجدتهَا تبكى خارجَ البيت في الظلام والبرد. سألتها ما اسمُكِ قالت كوزيت. وقد جئتُ من أجلها. سأدفعُ ما تطلبونَ وأخرجُ وهي معي. في عنقي وعدٌ لأمِّهَا لابدَّ أنْ أفِيَ به.

الاثنان: أمها؟!

فالجان: لقد رحلتْ إلى رحابِ السَّمَاءِ بعد أن أنهتْ ما عليها من شقاء. أنا هنا مكانها. وسأدفعُ. كم تطلبون؟

دناردييه: تفضلْ الآنَ بالجلوس يا سيدي المحترم.

م. دناردييه: مسكينة يا فانتين. تشربْ حاجة حضرتك؟

فالجان: الآن سيكونُ لكوزيت أبٌ.

دناردييه: (**يمثل التأثر**) ماذا تقولُ يا سيدي؟ هل جئت لترحلَ بكنزنا الثمين؟ تأخذ دُرَّتنا الغالية وحَبَّة القلبِ؟

م. دناردييه: نعمْ! لقد أكلتْ خُبزَنا وعاملناهَا كطفلتنا التي من صُلبِنَا.

فالجان: مشاعرُ تنم عن طيبةِ القلبِ. هل اتفقنا الآن؟؟

دناردييه: نحنُ لا نساومُ يا سيدي. لكن الفاتورة تشملُ مصاريفَ رعايةٍ وطعامٍ ودواءٍ والذي منه. (**لكوزيت**) صح يا كوزيت؟؟

كوزيت: (**مستنكرة**) يا راجل!؟

م. دناردييه: كم مَرِضَتْ وكم أحضرتُ لهَا الطبيبَ واشتريتُ الدواء. لمْ نبخلْ بشيءٍ. صح يا كوزيت؟!

كوزيت: يا ولية؟!

م. دناردييه: لكنْ لا مؤاخذة من غير زعل يا سيد. نريدُ أن نطمئنَّ عليها. وقد تكونُ من إياهم وتاخد البت تشغلها في الملاهي والمواخير لا سمح الله.

فالجان: (**يخرج حافظة نقوده فيُسيلُ لعابَ دناردييه وزوجته**) ولا كلمة زيادة. سوف أدفعُ ألف وخمسمائة نظير كلِّ ما فعلتم لها. وأعتقدُ أنه مبلغ معقول.

كوزيت: (**بينما دناردييه وزوجته يتخاطفان النقود فى شغف**) هل تأخذني إلى قلعة لها سورٌ وحديقة، ألعب فيها ولا أجوع ولا أعمل حتى النوم؟

فالجان: نعم يا كوزيت. يا بُنيتي. عندي قلعة ملأتُها لَكِ باللُّعَبِ والحلوى والفساتين الجميلة. هيا بنا!

إظلام

اللوحة الخامسة

بعد مرور عشرة أعوام

شارع بلوميه

الشارع فارغ بالليل حيث أعمدة النور كابية الأضواء. بلكونة قصر فالجان هي قطعة الديكور المميزة الوحيدة. كوزيت جالسة وحيدة في الضوء الخافت وقد صارت آنسة.

كوزيت: آهٍ يا كوزيت! وحيدةٌ أنتِ وقلبُكِ الفارغُ في سكوت ووحشةِ هذا القصر المعزول في ضاحية بعيدة. لست أدرى لماذا قرر أبي أنْ نترُكَ بيتنا القديمَ لنسْكنَ هُنا. ترى مَاذا تنتظرينَ يا كوزيت فى ظلامِ عُمْرك؟ هل يَجيءُ الحُبُّ ليبحثَ عَنكِ هنا، من بين بناتِ المدينة؟

فالجان: (**يظهرُ خلفها عجوزا يرتدى بالطو**) الحُبُّ دائمًا يَعرفُ طريقَهُ إلى قلوبِ البنات.

كوزيت: (**فى حرج**) منذ متى وأنتَ تقف هنا يا بابا؟!

فالجان: أنا دائمًا بجانِبكِ يا رُوح بابا. ما الذي يجعلُ كوزيت الجميلة تقفُ هكذا في الظلام؟

كوزيت: أنت السبب يا سي بابا. كنا فى البيت القديمِ نرَى الناسَ ونَعْزِمُ الجيرانَ ونعيشُ وسْطَهُمْ. وفجأة قرَّرْتَ المَجيءَ هنا، فما السَّبَبُ وراءَ ذلك؟

فالجان: (**يبحثُ عن سبب**) عزيزتي كوزيت! لا تتركي الأسئلةَ الحائرةَ تأخُذكِ بَعِيدًا عني. امسحي هذا الحزنَ عن جبينِكِ وصَدِّقيني! كلُّ ما فعلتُه بدافعِ الخَيْرِ لَكِ ولي.

كوزيت: لم تُجْبني عَنْ سؤالي يا سي بابا!

فالجان: كَمْ تكونُ الحياةُ سعيدةً هادئةً ونحنُ معًا! أنا وأنت وحدنا!

كوزيت: أبي لا تغضبْ مِنْ أسئلتي؛ لكنَّ قلبي مَليءٌ بها! أنت لا تحِبُّ أنْ تحكي لي عنْ طفولَتِي، عَنْ تلكَ الأيام البَعِيدةِ فِي الماضي. لِمَاذا تحتفظُ دائمًا بِسِرِّهَا وَحْدَكَ؟ إني أراكَ أبًا حَنونًا رَقيقَ القلبِ. لَمْ تَمَلَّ يَوْمًا طلباتي الكثيرةَ، ولكنْ يا بابا العزيز؛ أنا في غُموضِ عينيْكِ تائهةٌ كطفلةٍ في غابةٍ واسِعَةٍ. وكُلمَا سألْتُكَ أجَبْتَ بغُمُوضٍ تُغلفُهُ المَرَارةُ؟

فالجان: (**يمزحُ**) كفَى لماضةً وفلسفةً! هُناكَ كلِمَاتٌ مِنَ الأفضلِ ألا تُقالَ أو تُسْمَعَ إلا فِي حِينِهَا يا طفلتي الغالية.

كوزيت: لم أعُدْ طِفلَةً، وأتوقُ لمَعْرِفةِ كُلِّ الكَلِمَاتِ التي تَعْرِفُهَا! حَدِّثْني عَنْ السنواتِ التي مَضَتْ.

فالجان: اللهُ يَمْنحُنا قوةَ الصَّبْرِ يا كُوزيت. وكُلُّ شيءٍ فِي حِينهِ وأَوَانِهِ. لكِنَّ الشْيءَ الأكيدَ يا رُوحْ بَابَا، أن البَرْدَ هُو مَصْدَرُ كُلِّ هذه الأسئلةِ في ذهنِكِ المتسرّع. فهل تسمَحُ لي الآنسةُ أنْ نشربَ الشاي بالداخلِ؟

كوزيت: نشربُهُ هنا، وأنا التي ستصنعه.

فالجان: بل أنا الخادمُ في هذا البيتِ. أَخْدِمُ سِتَّ الحُسْنِ والْجَمَالِ. خليكي هُنا مَعَ تأمُّلاتِكِ الفلسَفِيَّة. (**يهمُّ بالخروج ثم يعودُ**) ولكنْ حَاسِبي على دماغك، فكلُّ الفلاسفةِ لقوا نهايات مش هيا. (**يختفي للداخل**)

كوزيت: (**وحيدة**) دائمًا يَهْرُبُ مِنّي، ودائمًا أضيعُ في رِقَّةِ عينيه العميقتين.

يظهرُ ماريوس يجرى ويلتفت هاربا من البوليس. يقف وسط الساحة أمام البيت ويجرى فى كل اتجاهٍ فتتساقط منه المنشورات فيجمعها ولكن تبقى ورقة لا يسعفه ضيقُ الوقت فيهم بالهرب. كوزيت تناديه.

كوزيت: هاااى! أنت يا...! ماذا يُخيفك؟

ماريوس: هش ادخلي ولا تتكلمي!

كوزيت (**تمزح**) هاربْ مِنْ جُوز أمك؟؟ ح أفتن عليك!

ماريوس: (**يزجرها**) هش! اسكتي أيتها الطفلة. أنت لا تفهمين. الأمرُ خطير!

كوزيت: أنا مش طفلة. أستطيعُ أنْ أحْمِيكَ. هيا ادخلْ بيتنا واختبئ! (**يلتفت حائرًا**) صدقني ماتخافش. بابُ الحديقةِ من هنا. (**يوافق كحل وحيد أمامه فيدخل الكالوس ليدخل وراءه على الفور شرطيان يبحثان في المكان**)

شرطى1: بالتأكيد يختبئُ هنا.

شرطى2: بلا شك. (**يعثر على الورقة الساقطة منه**) هذا أحدُ المنشورات. (**تظهر إبونين من أحدِ الشوارع ثم تختبئ في أحد الدرعين تراقبُ ما يجرى**)

شرطى1: (**لـ كوزيت بالبلاكونة**) اسمعي يا شاطرة! هل رأيت....

كوزيت: (**سعيدة بالمغامرة تتقافز فى البلكونة**) أيوه أيوه. رأيته.

شرطى2: (**يشك في سلامة عقلها**) من؟

كوزيت: اللى بتدوروا عليه. دخل البيت.

شرطى1: (**يشير إلى زميلة بعلامة مجنونة**) أيَّ بيتٍ؟

كوزيت: ح يكون بيت مين يعنى؟ بيتنا طبعا.

شرطى2: دَعْكَ منها. باين عليها مجنونة.

شرطى1: انتظر يمكن... (**يظهر فالجان بالبلاكونة معه الشاي وراء كوزيت**) تسمح يا سيد. هل دخلَ بيتك شابٌّ هاربٌ ليختبئ؟

فالجان: أبدًا يا سيدي. أي شابٍ وممَ يهرُبُ؟

شرطى2: (**لزميله**) هيا بنا فالولدُ يبتعدُ كُلمَا أطلنا الكلام.

شرطى1: بل أفتشُ عنه في حديقتهم أولا. (**يهم بالدخول خلف ماريوس**)

إبونين: (**تظهر وتعطله**) هل تبحثان عن شابٍ هاربٍ يلبس بنطلون لونه كذا؟ (**لون بنطلون الممثل**)

الشرطيان: نعم أين هو؟

إبونين: رأيتُهُ يجرى مُسرعًا في هذا الشارع. وقد سألنِي عن مخبإ فخفتُ منهُ وجريت.

الشرطيان: هيا بنا! (**يخرجان كما أشارت إبونين بينما كوزيت وإبونين يتأملان بعضهما**)

إبونين: (**تبحث لنفسها عن مخبأ تنتظرُ فيه خروجَ ماريوس من بيت فالجان. توصي كوزيت قبل اختفائها**) لا تتركيهِ يخْرُجُ حتى أُعْطِيَكِ صُفارة الأمان. إنه ليس لصًّا. إنه ماريوس، طالبٌ في الجامعة و... أرجوكِ لا تتركيه يخرجُ الآن بحق اللهِ علي. (**تراقبُ الطريق في كلِّ اتجاهٍ حتى تختبئ**) الحمد لله أنه نجا. يا رب احفظه لي واجعلهُ يعرفُ أني أحبه أكثرَ من نفسي.

فالجان: ما الذي يجرى هنا يا كوزيت؟

كوزيت: (**مأخوذة تراجع سذاجتها وطفولة تصرفها تنظر لمكان اختباء إبونين**) لا أدرى يا أبي، غير أنه يبدو شيئا مُهمًّا. مُهمًّا أكبر من سذاجتي وحماقتي.

طرق خفيف حذر على باب البلكونة من خلف فالجان وكوزيت ثم يظهر ماريوس من داخل البلكونة فى حذر سوف يظهر ويتوارى أثناء حديثه.

ماريوس: عذرًا يا سيدي. أنا لستُ لصًّا ولم أسرق رغيفا ولا نقودًا.

فالجان: تسرقُ رغيفا؟ لا تخفْ يا بُني. أبدًا لا تخفْ. اشربْ هذا الشاي واجعلْهُ يدفئ يديك الباردتين. ما حكايتُك؟

ماريوس: (**يتناول الشاي وهو ينظر لكوزيت وفالجان**) رقيقُ القلبِ أنتَ يا سيدي. غيرُكَ كان يُسلمُني للشرطة ليحظى بالمكافأة.

كوزيت: أهناكَ مُكافأةٌ لِمَنْ يقبضُ عليك؟

ماريوس: فى عرضك خليكي في حالك! أتظنين أني ألعبُ معهم عسكر وحرامية؟ اسمى ماريوس يا سيدى طالب جامعى.

كوزيت: طالبٌ جامعيٌّ! هى قالت نفسَ الكلام.

ماريوس: هى مَنْ؟

كوزيت: (**تنظر فى الشارع بحثا عن إبونين**) الآنسة اللي ...

فالجان: لماذا تهربُ من البوليس يا ماريوس، وماذا تُخبئُ معك؟

ماريوس: أشعرُ نحوَكَ بالأمانِ وسأتكلمُ. هذه منشوراتٌ نوزعُهَا على الناسِ لينضمُّوا إلينا ويؤيدوا ثورتنا ضد الظلم والفساد. (**يُعطيهِ منشورًا بينما تمدُّ كوزيتْ يَدَهَا تأخذُ منشورًا بينما ماريوس يتجاهلها فتتأمل وجهه**)

فالجان: (**ينظرُ في المنشور**) عملٌ خطيرٌ يا ماريوس، لنْ تجدَ مَنْ يُكافئكَ عليهِ.

ماريوس: لا ننتظرُ مكافأة مِنْ أحدٍ. فقط نحلمُ بعالمٍ لا يَجُوعُ فيه شريفٌ ولا يشبعُ فيه ظالمٌ مستبدٌ. أنتَ في قصْرِكَ يا سيدي لا تدرى كم من مظلومٍ ابتلعَ السجنُ سنواتِ عمرِهِ؟ وربما لسببٍ تافه.

فالجان: أعرفُ واحدًا منهم يا ولدي، ضاع ثلثُ عُمرِهِ ظلمًا هناك، ولم ينجُ بعد.

كوزيت: لأجل هؤلاء قمْنا يا سيدي. ولأجلهِمْ سَتَشْرِقُ - ذاتَ يومٍ - شمسُ غدٍ جديدٍ. أعِدُكَ بذلك. وإنْ مِتُّ فاذكرْ لقاءنا هذا يا سيدي. (**صفارة إبونين**)

كوزيت: الطريقُ الآن آمنٌ يا ماريوس. (**تظهرُ إبونين من مخبئها تنظرُ للبلكونة في لهفةٍ**)

ماريوس: وكيفَ عرفت؟

كوزيت: الآنسة هناك. (**تشير فينظر ماريوس إلى إبونين**)

ماريوس: (**هامسا بشفقة**) لماذا تُخاطرينَ بحياتك من أجلى يا إبونين؟!

كوزيت: إبونين؟

ماريوس: نعمْ، أبوها ذناردييه الخمارُ الشهير.

كوزيت: أهى خطيبتُكَ؟

ماريوس: خطيبتى؟(**يضحك باستنكار**) الحُبُّ لمثلى رفاهية يا...

كوزيت: كوزيت (**برومانسية**) اسمى كوزيت.

فالجان: (**يتنحنح**) وأنا أبوها، هاه!

ماريوس: كوزيت. (**برومانسية يسلم كوب الشاى الفارغ لفالجان ويسلم كوزيت منشورًا**) اسمٌ جميلٌ يا سيدى. أحسنت التسمية. (**يقفزُ من البلكونة إلى إبونين التى تلقاهُ بلهفة**) لنا الغدُ يا سيدى، أعِدُكَ بذلك.

إبونين: (**كوزيت تتابعُ بغيرة**) نجوتَ منهم يا ماريوس. سلمتَ لى.

ماريوس: كَمْ أحبُّكِ يا إبونين!

إبونين: (**برومانسية**) أخيرًا!!

ماريوس: وح أجيب لك شوكولاتة، فأنتِ طفلة شجاعة.

إبونين: (**تضربة على كتفة وهم يخرجان**) أنا مش طفلة، إفهم بقى!

كوزيت: ما الحبُّ الا ما فعلتْ يا إبونين من أجل ماريوس.

فالجان: (**يقرأ المنشور**) اللونُ الأحمرُ لونُ الثائرين الغاضبين.

كوزيت: وما الحماقة والسُّخفُ إلا ما فعلتُ أنا.

فالجان: مساكينُ هؤلاء الشبابُ. يُخاطرونَ بحياتهم من أجْلِ ما يؤمنون به.

كوزيت: ومَا الحياةُ يا أبى إنْ لمْ نجدْ ما نؤمنُ به، ونضحي مِنْ أجلهِ؟

فالجان: (**ينظرُ إليها ثم ينظرُ في الشارع مكان ماريوس وقد فهم أنها وقعت فى الحب**) هاه؟ عندكِ حقٌّ يا كوزيت. لكلٍّ واجبُهُ، ولكلٍّ دَوْرُهُ فِي الحياةِ. (**يربت على خدها فى حنان أبوى**) هيَّا إلى الدَّاخِلِ، فقدْ أوشكتْ أشياءُ كثيرةٌ على التغيُّر. (**يُغادر لداخل البلاكونة**)

كوزيت: (**تبقى بالبلاكونة تتأملُ بينما تتسلل الموسيقى رقيقة**) غريبٌ هذا الاحساسُ الذى انتابني على يدكَ يا ماريوس. كأنَّ حياتى بدأتْ أخيرًا. هل يمكنُ أنْ يتغيرَ الناسُ من موقفٍ واحدٍ في لحظةٍ واحدة؟ أكادُ أسْمَعُ أغنية الحُبِّ تتهادى إلى قلبي من بعيد.

أغنية تترجم الحب الذي اشتعلت نيرانه بقلبها للتو

إظلام

اللوحة السادسة

ميدان أمام باب خان دناردييه

الكثير من الشحاذين بين سيدة عجوز جالسة أرضا ورجالٌ ملابسهم رثة يطوفون بلا أمل يُطاردون المارة. الثوار متنكرون فى زي شحاذين.

العجوز: سيدي كسرة خبز أسدُّ بها جوعي. ربنا يخليك!

شحاذ1: أنا ابنْ كار زيك ياختي. اشحذي فى مكان آخر.

جافروش: (**ثائرًا مُتنكرا كشحاذ**) ألا يمرُّ رجلٌ غنٌّ من هذا الشارع؟ (**يكشفُ وجهه ويلتفت**) ترى هل قبضوا بالأمس على ماريوس حقا؟ لماذا تأخروا هكذا؟

يدخل دناردييه يحمل أكياس طعامه قادما من السوق متجها إلى الخان. جافروش يجرى يتسول يزاحم السيدة العجوز وشحاذ1.

شحاذ2: أعطني رغيفا يا سيدى!

شحاذ1: (**والعجوز معه**) أعطني قرشا أشترى طعاما أرجوك يا سيدي. إني جائع.

دناردييه: ابتعدوا يا أولاد الأبالسة وإلا كسرت عضمكم جِتَتْ.

م. دناردييه: (**تدخل خلفة تحمل اكياس طعاما**) كثُرَ الشحاذون في هذا الحي المقرف. هيا إلى الجحيم يا حثالة.

دناردييه: مش عارف لماذا لا تأتى الشرطة وتجمعهم إلى السجون؟

م. دناردييه: (**يقفان أمام باب الخان**) مصيرهم إلى حبل المشنقة بإذن الله. نصفهم طلبة بتوع سياسة متنكرين. (**يبتعد جافروش حذرا**)

دناردييه: ح تتنكروا على مين يا شلة الصيع؟ اعلموا أن رحى السياسة لا تدور إلا لتفرم عظام السذج من أمثالكم، ثم يطيبُ طحينُها للكبار فقط.

م. دناردييه: مصيري أبلغ عنكم قبل أن تشعلوها نارا. أين ابنتنا الجميلة إبونين؟

دناردييه: شاغلها حب واحد من هؤلاء الزلنطحية المفلسين. ستدوسها الأقدام وبكره أفكرك. (**ينادى للداخل**) بابيب، بروجون، مونبارناس!! انتوا يا حثالة ياللي جوا!

بروجون: (**يظهرون يحاولون إخفاء أفواهم المحشوة بالطعام**) أمرك يا سيدي.

م. دناردييه: أكَّالين بطَّالين يا ولاد الملاعين!

دناردييه: مش قولت عينكم على إبونين يا ولاد المفاجيع؟؟ (**يطاردهم فيسقط منه كيس به طعاما فيهجم عليه الشحاذون يخطفون الطعام ويجرون**) ابتعدوا يا فئران المجارى يا

لمامة! (**لرجالة**) أين إبونين يا مساطيل منك له؟ طبعا ليست بالبيت. ولا كلمة! تجبوها من تحت الأرض حالا. هيا! (**يجرى الثلاثة ويدخل هو الخان**)

جافروش: ساء الموقفُ وكشف دنارديه أمرنا. (**يرى القادمين فيجرى إليهما**) هاه؟ ما الخبر؟

كومفير: (**يدخل معه فوى**) لا خبر عنه منذ أن طارده الشرطيان بالأمس.

فوى: سألتُ جاسوسًا لنا في المخفر فلم تردْ أنباءٌ عن القبض عليه.

كومفير: الأهمُ من ذلك كله أنَّ بوادرَ الثورة بدأت تندلع.

فوى: نعم. أتتْ المنشوراتُ التي نُوزِّعُهَا مفعولَهَا. فقد تجمَّعَ المئاتُ من الناسِ عندَ كنيسةِ نوتردام.

جافروش: كلُّ هذا بفضلِ كلماتِ الجنرال لامارك القوية.

كومفير: حقا إنه يستحق لقبَ رجلِ الشعب.

جافروش: هو رجل رائع. ولكنَّ الجنودَ قد ألهبوا ظهورَ المُحتشدينَ عندَ شارع دى باك بالسياط، ورأيتُ الدماء وتسيل الدماءُ.

كومفير: سيكونُ لذلك ردُّ فعلٍ عظيم من الطلبةِ والعُمَّالِ والناس أجمعين.

فوى: سوف تتحولُ شوارعُ باريس إلى أنهارٍ من البشرِ يُطالبونَ بالعدالةِ والحُرِّيَّةِ والمُساواةِ.

جافروش: إذن لنْ نقفَ مكتوفي الأيدي هنا هكذا. هيا بنا نبحثُ عن ماريوس وندفع عجلة الزمن إلى الأمام. (**يهمون بالخروج فيظهر ماريوس من الناحية الأخرى**)

ماريوس: جافروش!!

جافروش: ماريوس! حمدالله ع السلامة أين كنت؟

فوى: ماذا فعلت بالأمس؟

كومفير: كيفَ نجوتَ؟

ماريوس: جنِّيَّة، لالا ملاك، أرسلتهُ السماءُ لينقذَ حياتي في اللحظةِ الحرجة.

الجميع: مَنْ؟ (**تظهر إبونين من خلفهم فيراها ماريوس**)

ماريوس: إبونين!! (**يذهب اليها**)

الجميع: (**وقد فهموا خطأ**) بنت دنارديه؟

إبونين: أنتَ هنا وأنا أبحثُ عنك منذ الأمس؟

ماريوس: أنتِ حقا طفلةٌ عجيبة يا إبونين.

إبونين: لستُ طفلة. إفهم بقه!

ماريوس: لا تغضبي يا صغيرتي وأخبريني، ما الذي يجعلُكِ تتبعينَ خطواتي في كلِّ مكان هكذا؟

إبونين: (**برومانسية**) ألا تعرفُ حقا يا ماريوس؟

جافروش: (**يجذب ماريوس من الخلف فيتركها ويذهب معه**) ماريوس هل تسمحُ بكلمة؟

إبونين: اللحظةُ المناسبة تآبي أن تحين. ألا ينظرُ في عيني ويعرفُ بنفسه؟

ماريوس: ماذا تقول يا جافروش؟

جافروش: ما سمعتَ. أبوها كشف أمرنا، وأمُّهَا تنوى الإبلاغ عنا. قالوا كده من دقيقتين فقط.

فوى: إذن مش بعيد تكون إبونين دسيسة من أمها وأبوها لتوقع بنا.

إبونين: **(تقترب)** أعرفُ ما تتهامسون به. ولكني شيءٌ وأبي شيء. أنا إبونين يا ماريوس. إن شئت فاسْمَعْ كلماتِ قلبي لا لساني. تذكرْ ماذا حدثَ ليلة الأمسِ. قلْ لهم مَنْ أنقذك.

كوزيت: **(تظهر جميلة من أول الشارع)** ماريوس!

ماريوس: من؟ أنتِ بنفسِكِ هُنا؟ **(يترك إبونين ويذهب لكوزيت)** كيفَ عَرَفْتِ الطريقَ إلى هذا الحي البائس؟

كوزيت: اللي بيسأل مايتوهش.

إبونين: بدأتْ تتبعُهُ مثلي.

فوى: ما الذي يجرى؟

جافروش: هل وقع ماريوس فى الحب؟

إبونين: أشعرُ أنى أعرفُ هذه البنت.

ماريوس: **(لكوزيت)** شوارعُنا المُظلمة خطرٌ عليكي يا آنسة.

إبونين: رأيتُ وجهها بالأمس فعرفتُ فيه شيئا أذكره.

كوزيت: لا تسخر منى فلستُ أقل ممن أنقذت حياتك بالأمس.

إبونين: ثرية وأنا بنت حواري. فكيف أعرفها؟

كومفير: لا وقتَ يا ماريوس. هذا موعدُ دوريةِ الشرطة، ولدينا أمورٌ جليلة.

إبونين: **(تقترب من كوزيت متحرشة)** حلوة المُزة يا ماريوس مش كده؟

كوزيت: أنتِ هيَ فتاةُ ليلةِ الأمسِ العصيبة. تعرفي إنك شجاعة قوى؟

إبونين: وأنتِ أجملُ مما رأيتُكِ بالأمس. هل قابلتك من قبل يا...

كوزيت: كنتُ أودُّ أنْ أسألك نفسَ السؤال. هناك شيءٌ ما أعرفُهُ فيك، **(تتحرك في المكان تطالعه)** وفي هذا الحي. **(تقترب من باب الخان)** نعمْ خاصة في هذا الباب.

ماريوس: ألم تجدي غيرَ بابِ الجحيم وتشبِّهِي عليه؟!

إبونين: **(لنفسها)** أيمكنُ أنْ تكونَ هي؟

كوزيت: قلتَ لي ما اسم الآنسة يا ماريوس؟

ص. دناردييه: **(من داخل الخان)** إبونين يا بنت الأفاعى. **(إبونين تبحث عن مهرب)** لا تهربى فأنا أسمع صوتك من مكاني . **(يفتح الباب ويقف أمامه)** تعالى يا بنت و أخبريني أين كنتِ وإلا أعرف كيف... **(يرى كوزيت فيغير لهجته إلى لهجة صياد عثر على فريسة)** أهلاً أهلاً بالزبائن الكبارة. تفضلي يا عروسة وشرفي هذا الخان المتواضع. **(يذهب إليها ويتأملها وماريوس دائما بينهما)**

ماريوس: مكانك يا ذنادرييه. هي ليستْ من زباينك إياهم. **(لكوزيت)** هيا من هنا فأنا أشم رائحة مشاكل.

ذنادرييه: **(يمسك بكوزيت من ذراعها)** سيبها وروح لحالك يا رخم.

إبونين: **(تجذب أبيها بعيداً عن كوزيت)** سيبها إنت وخش جوَّا. فأبوها عنده قصر كالناس الواصلين يا با!

ذنادرييه: وماله يا بت؟ أبوك أيضاً راجل واصل، بس ما بأحبش الفشخرة. **(يخطف ذراع كوزيت ثانية)** تعالى وريني هذه الحلي اللي تخطف النظرة دي .

ماريوس: **(يمسك بخناق ذنادرييه بقوة)** ابتعد يا ذنادرييه وإلا ...

إبونين: ماريوس! اترك أبى أرجوك.

ذنادرييه: **(يتهكم على إبونين)** اترك أبى أرجوك؟ دا اللي قدرتي عليه يا بنت الأهطل؟ **(يهم للقتال)** مازالتُ بصحتي يا حبة خنافس! تعالوا لي هنا!

جافروش: **(يشل حركة ذنادرييه)** قفْ مكانك يا ذنادرييه بلاش مشاكل.

كومفير: خذها يا ماريوس وأمشى من هنا بسرعة.

إبونين: نعم أرجوك يا ماريوس، خذهم جميعاً واخرجوا من هنا قبل أن تسيلَ الدماءُ .

فوي: اترك لنا هذه المشاكل يا ماريوس.

ماريوس: **(لكوزيت)** هيا بنا.

بابيب: **(يدخلُ مع بروجون ومونبارناس عائدين من البحث عن إبونين)** ونحن أيضاً نحبُّ المشاكل.

ذنادرييه: أين كنتمْ يا رجالة المعلم الهُزؤ؟ أمسكوا بهم وإلا رفدتكم من عملكم. لابد من تأديبهم.

بروجون: والتلاميذ أيضاً يمارسون البلطجة؟

مونبارناس: مش كفاية السياسة والمنشورات؟

كوزيت: ماريوس! الموقفُ يتأزم. أنا خايفة.

ماريوس: متخافيش من حاجة.

بروجون: يبقى وريها الشجاعة وتعالى لي يا حلو!

تقومُ معركة تساهمُ إبونين في تخليصِ ماريوس بينما الجميعُ يتعاركون. ذنادرييه ورجاله الثلاثة ضد ماريوس وكومفير وفوي وجافروش بينما تتحول كوزيت الواقفة فى رعب إلى موضوع للرهان يحاول ذنادرييه ورجاله النيل منها ومن حليها فتدافع عنها إبونين أحياناً. الكلُّ يتبادل ألفاظ السب والشتم. مثلاً: خذ هذه الركلة منى. لابد أن أؤدبك يا كلب. الفئرانُ الضالة أمثالكم سأدوسها بقدمى. أمسكوا هذا القرد. اقتلوهم يا أولاد الأفاعى. ابتعدوا عن الخان وإلا...إلخ

أنجولرا: **(يدخلُ مسرعاً مع جرانتير و بروفير)** ماريوس! مفتش البوليس جافير في طريقه إلى هنا. **(يشترك فى المعركة بإبعاد ذنادرييه ورجاله عن ماريوس ورفاقه ليهربوا)**.

جرانيتر: **(يشترك فى المعركة مع بروفير)** هيا يا ماريوس أسرع!

إبونين: (**تخلصه من يد أحد رجال ذنادرييه و تجذب كوزيت معه**) من هذا الطريق يا ماريوس. جافير لا يعرفه. أسرع! (**والمعركة دائرة**).

ماريوس: سامحيني يا إبونين. هيا بسرعة! (**يأخذ كوزيت المندهشة**).

فالجان: (**داخلاً من الكالوس المعاكس لخروج ماريوس بكوزيت يجريان فينادى**) كوزيت إنتظرى!

إبونين: (**تودع خروج كوزيت و ماريوس بإهتمام و قد تذكرت**) كوزيت؟! (**تخرجُ** وراءهما).

ينتصرُ أصدقاءُ ماريوس ويدفعون برجال ذنادرييه أرضاً ثم يدفع أحدهم بذنادرييه فى حضن فالجان الذى دخل لتوه ويهربون جمعياً.

ذنادرييه: (**لرجاله**) يا بغل منك له! يضربوني وانتوا حلوليا؟ (**ينظر لفالجان وهو فى حضنه**) أدركني أيها السيد!

بروجون: (**لزميليهِ**) هلمُّوا لنهربَ في الحال. يقولون جافير قادم إلى هنا! (**يهرب الثلاثة**)

فالجان: جافير؟! (**يهم بالخروج ولكن ذنادرييه يكلبش فيه**).

ذنادرييه: كمان بتخلعوا وتسيبوني؟ (**لفالجان**) عاجبك كدا يا سيد؟!

فالجان: قم يا رجل. حصل خير. لابد أن أمضي الآن.

ذنادرييه: تمضى إلى أين يا سيدي؟ أنا لازم أعمل معاك واجب. لقد أنقذتني. (**يدقق النظر فى فالجان**) آه يا دماغي؟! (**يتعرف على فالجان**) يا لهذه الدنيا الصغيرة؟ برغم العلقةِ اللى أكلتها لكن شكلك محفور فى رأسي. أنت الوغد الثري الذي رمى لنا قرشين صاغ زمان وأخذ منا كوزيت الغالية وراح.

فالجان: ماذا تُخرِّفُ أيُّها القذر؟ هل فقدتَ التمييز؟

إبونين: أبى أبي! المفتش جافير قادم إلى هنا. هيا ادخل البيت. (**تدخل الخان وتظل وراء الباب الموارب تراقب ما يجرى**)

جافير: خناقة أخرى في الميدان؟ أشم رائحة نتنة. (**فالجان يتوارى عنه**) تكلم يا ذنادرييه إن كنتَ شهدت شيئاً يفيد التحقيق.

ذنادرييه: أستطيعُ أنْ أخبِرَكَ بكلِّ شيءٍ يا سيدي جافير. تمامًا كما يستطيعُ هذا السيد المحترم أن يخبرك، فقد رأى كلَّ شيء بعيني رأسه. (**يدير فالجان للمفتش**) تكلم يا سيد.

فالجان: خناقة معتادة بين الشباب من أجل صبية بالطبع. لا شيء غير عادى.

جافير: الشوارعُ ليستْ آمنةً يا سيدي، فلا تطلق لساقيك العنان. (**جافير ينظر في فتحات المكان باحثاً بينما ذنادرييه يتبعه ككلب فيستغل الفرصة فالجان ويهرب لإحدى الحارات**). هل كانوا من الشباب الذين يخاطرون بحياتهم حول طبق الحلوى المسمى بالسياسة؟

ذنادرييه: (**منشغلاً بجافير مخلصاً**) هم حثالة لا عملَ لهم يا سيدي غيرَ المشاكل. ولكني أؤكد لكَ أني لهم بالمرصاد. (**يلتفت لفالجان**) قل حاجة يا سيد. (**يلتفت فلا يجده**) أين ذهب؟!

جافير: أين اختفى؟ ولماذا يخافُ من جافير؟ إلا إذا كان من أصحاب السوابق.

ذنادرييه: انطلق وراءه يا سيدي فهو صيدٌ يستحقُّ المطاردة.

جافير: (**لنفسه جانباً**) له نفس قامة السجين 601 الذي طال سعيي إليه. أيمكنُ أن يكونَ الطائرُ قد ملَّ الهرب، وجاء يبحثُ عن القفص؟ إنَّ مَنْ يحملون رقماً على صدروهم لا يُجيدون الهرب مهما طال الوقت.

ذنادرييه: سأقتفى أثره لأجلِكَ يا سيدي المفتش. (**لنفسه**) فقد عرفتُ أنَّ وراءه ما يستحقُ العناءَ. (**أثناء خروجه**) لا تنسْ مكافأتي حين أُهْدِيهِ إليك مكبلاً. (**يخرج**).

جافير: فليطلقْ ساقيه للريح ما شاءَ. فسوف أظلُّ وراءَهُ حتى تبكى قدماه. هو لا يعرف غير الطرقات الظلمة. وأنا خادمُ العدالةِ. ولي طريقُ الله! (**يخرج**).

إبونين: (**تخرج من الخان فى الظلام حائرة**) أوَّاه يا قلبى! هى كوزيت التى تربتْ معي كخادمةٍ وأنا ستها. وقد عشنا في بيتٍ واحدٍ لسنوات. فأي طريقٍ سارتْ فيهِ حتى أصبحتْ كالأميرات؟! وأي طريقٍ مشيتُ أنا حتى صِرْتُ أسوأ من خادمةٍ؟! هي أيضاً أخذتْ منِّى قلبَ حبيبي. وأبى يُضمرُ لأبيها الشرَّ من الآن. هل أساعدُهُ لأتخلصَ مِنها وأفوزَ بقلبِ ماريوس؟ هل أخبرُهُ بماضيها وأنَّ التي يظنُّهَا بنتَ أكابرَ، هي في الحقيقةِ لقيطةٌ مِنْ عَرْضِ الطريقِ؟ أمْ أنَّ ذلك يُغضِبُهُ مِنِّي ويُحزنُهُ على حبيبته؟ ماريوس! يا أحَبَّ مخلوقٍ لديَّ! أنا أحِبُّكَ بكلِّ قلبي، وأريدُ إسْعَادَكَ ما أستطعتُ. فهل تسامحُنِي حينَ أفرِّقُ بينَكَ وبين كوزيت؟ (**تهمس ثانية**) كوزيت ! اسمٌ له عطرٌ جميل. إبونين! أتُرَاهُ مكتوباً فِي عِدَادِ السُّعَدَاءِ؟ فليأتْ الغدُ بما يُخبِّيءُ، ولكنَّ حُبِّي لكَ يا ماريوس سيظلُّ حاضري ومستقبلي؛ مهما أذاقني مِنْ شقاءٍ.

(**يذوب الضوء ببطء**).

إظلام

اللوحة السابعة

أحد الميادين...يتكلمون أثناء إقامة المتاريس

كومفير: اقتربَتْ السَّاعةُ حتى كادَ الدَّمُ يغلي في العروق.

لزلى: لقد نِلنَا مِنْهُمْ نصراً غالياً حين أجبرناهم على الجري أمامنا كالفئران.

أنجولرا: ومع ذلك احذروا أنْ تُسْكِرَكُمْ خمرةُ النَّصْرِ الأولِ.

لولى: نعم. لديهم الجيشُ والسلاحُ والعتادُ، ونحنُ مازلنا فى البداية.

جافروش: مِنَ السَّهْلِ أنْ نمْكُثَ هنا ونصطادُهُمْ كالذباب.

جرانيتر: لكنَّ الحَرَسَ الوطنِيَّ سيكونُ أكثرَ شراسةً هذه المرة.

كورفيراك: إننا في حاجةٍ إلى شعارٍ يُنظمُ صفوفنا ويجمعُ الناس حولنا.

بروفير: اسمُ الجنرال لامارك أكبرُ شعار.

لزلى: نعم. رجلُ الشعبِ حَليفُ الشعب!

جافروش: (**لماريوس الشارد بذهنه**) فيمَ شرُودُكَ يا ماريوس؟

ماريوس: أفكرُ فيها يا جافروش.

جافروش: كوزيت؟ هل وقعتَ فى الحُبِّ أخيرًا؟

بروفير: لمْ نرَكَ تتأوَّهُ من الحُبِّ منْ قبلُ يا ماريوس.

أنجولرا: تتحدثونَ عن الحبِّ؟ كلمونا عن المعركةِ وكيف نكسِبُهَا.

ماريوس: لو أنَّ أحدَكُمْ كان هُناك في مكاني! لعرَفَ كيفَ يرتعدُ القلبُ مِنَ النشوةِ، وتتلاحقُ الأنفاسُ حين يَمَسُّ الحُبُّ قلوبَنا لأولِ مرةٍ.

لزلي: (**على جانب آخر من الموقع**) حانَ الوقتُ لنقرِّرَ مَنْ نحنُ وَمَنْ هُمْ.

كورفيراك: سنحصلُ على حريتنا مهما كان الثمنُ.

بروفير: هل سألتمْ أنفسَكُم عن الثمن الذي قد ندفعُهُ لما نُطالبُ به؟

جرانيتر: إنَّ لونَ العالمِ يتغيَّرُ أَمَامَ أعيننا. فالأحمرُ لونُ الثوار الغاضبين.

أنجولرا: والأسودُ هو لونُ أيامٍ آن لها أنْ تنقشعَ.

كومفير: الأزرقُ لونُ الفجرِ حينَ ينسلخُ عنهُ الظلامُ.

ماريوس: الأحمرُ، أشعُرُ أنَّ رُوحي تقفُ على جمرةٍ من نارٍ. والأسودُ هي دُنياى إنْ لمْ تكنْ فيها كوزيت.

جافروش: ماريوس! لم تعُدْ طفلاً. نحن نسعى لهدفٍ أعظم خواطرنا ومشاعرنا.

ماريوس: الحبُّ طهرٌ يا جافروش. وقد تطهرتْ رُوحي حينَ عرفتُ كوزيت. لذا فأنا الآنَ أستطيعُ أنْ أموتَ منْ أجل كلِّ الكلماتِ النبيلةِ في هذا العالم.

بروفير: هل لدينا كُلُّ ما نحتاجُ من بنادق؟

جافروش: أرسلتُ فوي وسيأتي بها فى الحال.

ماريوس: أريدُ أنْ أرَاها يا جافروش. للحظة واحدة أنظرُ فى عينيها، أستمدُّ منها القوةَ وأقولُ لها كلمة الوداع.

جافروش: ماريوس! كلمةُ الوداعِ هذه ستقولُهَا لأيَّامِنا الماضيةِ، التى لن تعودَ بظلمَتِهَا وبؤسِ الناس فيها. أنت هنا لكي تعيش.

أنجولرا: (**على الجانب الآخر**) هاهو فوي قادمٌ يحملُ صندوقَ البنادق. رَدِّدُوا معى: النصرُ للبؤساءِ، والموت للطغاة الجبناء!

الجميع: النصرُ للبؤساء! الموت للطغاة الجنباء.

أنجولرا: عاشَ الجنرالُ لامارك رجلُ الشعب.

الجميع: عاشَ الجنرالُ لامارك رجلُ الشعب.

فوي: (**يدخل يحمل صندوقاً و لكنه حزين**) أيها الأصدقاء. الجنرال لامارك مات!

الجميع: لامارك مات؟! (**موسيقى صدمة قوية يسقط الثوار على إثر الخبر جالسين محبطين. صمتٌ كامل يقطعه هتافاتٌ بعيدة من حشود جماهيرَ تقترب**).

ماريوس: لابد أنْ أرى كوزيت. سأعودُ إليكم لنحيا سوياً أو نموتَ سوياً! (**يخرج**).

جافروش: موتُهُ هو اللحظة التى كنا ننتظرُهَا. لابد لكلِّ ثورةٍ من شهيد.

فوي: (**يوزع الأسلحة**) موتُهُ هو ساعةُ القدر! أتسمعونَ أغنيةَ الشعبِ تدوي في كلِّ مكان؟

كومفير: ستكونُ جنازتُهُ صرخةً تسمَعُهَا الدنيا بأثرِهَا.

جرانيتر: فلنرحبْ بالموتِ من أجلِ ما مات عليه لامارك! **(تتعالى أصوات الغناء)**.

كورفيراك: أتسمعونَ أغنيةَ الغاضبين؟

جافروش: إنها موسيقى شعبٍ لنَ يقبلَ العُبُوديَّة بعدَ اليوم؟

الجميع: عندمَا تُرْجِعُ دقاتُ قلبكِ صَدَى دقاتِ الطبول، فاعلمْ أنَّ حياةً جديدةً توشكُ أنْ تبدأ مع إشراقةِ شمسِ الغد!

أغنية تدل على الأمل وبوادر الثورة

إظلام

اللوحة الثامنة

(قصر فالجان)

(يظهر ماريوس يقترب من البلاكونة فى حذر)

ماريوس: (ينادى هامساً) كوزيت ! كوزيت! **(يلتفت ثم يصعد إلى البلاكونة ويلقي بالحصى على بابها)** كوزيت!

كوزيت: (تفتح باب البلاكونة وتطل) ماريوس؟! ربنا بيحبني. هتفَ بي قلبي أني سأراكَ الليلةَ! إدخل بسرعة!

ماريوس: لا وقتَ هُناك. جئتُ لأودِّعَكِ يا كوزيت.

كوزيت: أيَّ وداعٍ يا ماريوس؟ وماهذا الحزنُ الذي أراهُ في عينيكَ؟

ماريوس: للفراقِ ولعنَتُهُ يا كوزيت الحبيبة.

كوزيت: لا فراقَ بيننا يا ماريوس. انتظرْ، سأنزلُ إليك! **(تدخلُ وتغلق باب البلاكونة بينما تدخل إبونين من وراءِ ماريوس تسترقُ السمعَ والنظر خلسة ملتاعة)**.

إبونين: أيُحبُّهَا كلَّ هذا الحبِّ؟ يتركُ المعركة لينظرَ في عينيها؟ هذه فرصتي. فلأُخْبِرْهُ بحقيقةِ الحبيبةِ الرقيقةِ بنتِ الذوات.

كوزيت: (تظهرُ بالشارع تتشابك يداها ويدا ماريوس) حبيبي ماريوس! إبقَ معي ولا تذهبْ بعيدًا! فقدْ سمعتُ ورأيتُ الجُموعَ في الميادين. الجيشُ يقتلُ الثوَّارَ. هل سيتغيرُ العالمُ بكلماتِ لامارك؟! **(فالجان يفتحُ باب البلاكونة ويقف يتابعُ محتلاً فراغ البابِ فى سكون وعليه بؤرة ضوئية)**.

ماريوس: لأجلِ وجهِ الحَقِّ والحُبِّ والحُرِّيَّةِ نضَحِي بكلِّ شيءٍ. وصيَّتِي إليكِ يا كوزيت: ألا تذرفِي الدُّمُوعَ حين أموت.

كوزيت + إبونين: (من مخبأها) سلمتَ لقلبي يا حبيبَ الرُّوُح.

كوزيت: مثْلُكَ لا يموتُ، فأنتَ في قلبي حياةٌ وأملٌ.

إبونين: بِحُبِّكَ أحْيَا! فدَيْتُكَ برُوحِي!

ماريوس: كوزيت يا نبعَ الطهْرِ والجَمَالِ. عيناكِ نجمتانِ ضاحكتانِ في ليل حياتي.

إبونين: يا ويلَ قلبي والأنينَ! كلماتُكَ طعناتٌ جحودٍ في قلبي والوريدِ.

كوزيت: باللهِ أخبرْنِي يا ماريوس أيَّ دفءٍ أعادَ لروحِي الحياةَ ليلةَ رأيتُكَ؟

إبونين: وأيَّ نارٍ أبَدِيَّةَ الوهَجِ أشعَلْتَ فِي قلبي يومَ مَسَّنِي سنا عَيْنَيْكَ؟

ماريوس: قلبي مليءٌ بالحبِّ ودقاتهُ موسيقى نورانيةٌ. أتحبينَ ماريوس قدرَ ما يُحِبُّكِ ماريوس؟!

إبونين: أحِبُّكَ ألفَ حُبٍّ، ولوْ يُرْضِيكَ أمُوتُ لأجْلِكَ ألفَ موتٍ.

كوزيت: ما ربطَ بيننا لنْ يَنكسِرَ مهما حدثَ.

إبونين: ليْسَ كَمِثلِكِ فِي النَّاسِ إنسانٌ يُحَبُّ. فهل لي فيكَ أيُّ أملٍ وأنتَ تبوحُ لها بما حَلَمْتُ أنْ يكونَ لي؟

ماريوس: سَأمْضِي الآنَ يا كوزيت، ووعدي لكِ: إمَّا غَدٌ مُشرِقُ النُّور بَهِي، وإمَّا الموتُ لأجلِ خاطر هذا الغَدِ. وداعًا!

كوزيت: خذْ هذا يا ماريوس. **(تخلع خاتما وتضعُهُ فِي إصبعه)**.

إبونين: لستُ أمْلِكُ ما أهدِيهِ لكَ غيرَ قلبٍ أحْرَقَهُ الحُبُّ ولا تدرى.

كوزيت: إلى لقاءٍ قريبٍ يا ماريوس الحبيب. سوف أنتظرُكَ. **(تدخل الكالوس بينما يخرج فالجان ينظر في المكان كله أمام البلاكونة)**.

إبونين: **(ساكنة فى مكانها تبكي)** مالذي مَنَعَنِي أنْ أفضَحَ أمْرَهَا أمَامَهُ؟ مَرَّ الوقتُ وأنا أصلي في مِحْرابِ حُبِّهِ فنَسِيَ قلبي كلَّ أحْقَادِهِ عليها. هل كان يُصدقُ ما أقولُ؟ هل كنتُ أضْمَنُ بَعْدَهَا حُبَّه؟ **(تظهر كوزيت فى البلاكونة وتنظر للخارج ولا ترى فالجان)** هي أجملُ مِنِّي وأعلمُ. هيَ أحَقُّ به مني. ولكني يا ربِّي أحِبُّهُ! أحِبُّهُ أكثرَ مِنِّي! **(تبكى مقهورة في لوعة وتكتم)**.

فالجان: **(من خلف كوزيت)** سيعودُ يا كوزيت. **(تلتفتُ إليه كوزيت)** بإذن الله الرحيم سيعود.

كوزيت: **(ترتمى بين ذراعيه)** أحِبُّهُ يا أبي وأخشى عليه.

فالجان: سيحمِيهِ هذا الحُبُّ. إنه يسعى لأجل الحقِّ والخير والسلام.

يدخل ذنادرييه متسللاً على أطراف أصابعه من أحدِ جوانب المسرح وقد وضع لفة من الحبال حول رقبته وكتفه وأمسك بحديدة تشبه العتلة في يده لزوم المعركة وكسر الأبواب، وخلفه يدخل بروجون يمسك نبوتا وبابيب يمسك جنزيرًا ومونبارناس يُمسكُ زجاجة وهو سكرانٌ يُصيبه الفواق "الزغطة بصوت" فيزجرُهُ ذنادرييه).

ذيناردييه: وكمان جي سكران يا بن الأبالسة؟!

مونبارناس: لزوم الشغل يا معلم. عشان أبقى شجيع.

إبونين: **(من مخبأها)** يا إلهي! إنه أبي يُريدُ أباها بسوءٍ كما توعد.

دناردييه: ها هو الصيدُ الثمينُ واقفٌ فى البلاكونة مع ابنتي وحبيبتي كوزيت.

بابيب: بت قشطة!

دناردييه: اكتم يا جزمة!

فالجان: هيا يا كوزيت فالبردُ شديدٌ، وقد أوشك الفجرُ على البزوغ. **(يدخلان)**

دناردييه: ميه ميه. نراجع بقى الخطة لآخر مرة. المطلوب أنْ نكتّفَ هذا الرجل القوي بالحبال، لنسلمَهُ لجافير وننالَ الجائزة. خدوا بالكم قوي، يعني فى ثواني يكون متكتف إيد ورجل. وطبعا لا ننسى أنْ نسرقَ ما خفَّ حَمْلهُ وغلا ثمنُهُ. وأهم جزء في الخطة هى كوزيت. عايزها حية يا بهايم. مش عايز دم. عشان نساومه عليها وقت اللزوم.

بروجون: نسيت تقولنا خطة الانسحاب يا معلم.

دناردييه: هو فيه حد أشطر منكم فى الخلعان يا زبالة؟ هيا بنا! (**يصعد أحدهم إلى البلكونة ويأخذ بيد دناردييه وتظهر إبونين من مخبأها**)

إبونين: (**تقلد البوليس**) مكانكم يا لصوص.

الثلاثة: مش إحنا يا باشا، دا دناردييه. (**يرفعون أيديهم مستسلمين**)

دناردييه: (**يكتشف إبونين**) يا ولاد الغدارة ! (**يضربهم**) دى بنتي الأمورة إبونين (**ينزل إليها مغيظا ويمسك رأسها ويضغطها للأرض متسبشعا**) بنت دناردييه المحترمة، فى الشارع لحد الساعة تلاتة؟ (**يغير لهجته فجأة**) معادك لوش الفجر (**يدفعها بعيدا**) رُوحي صَيَّعِي الساعتين دول يا حبيبة بابا.

إبونين: (**تعود بغتاتة**) بتعمل إيه يا بابا إنت وشلة الأفاعي عند بيت الرجل المحترم؟

دناردييه: لا تُضيِّعِي الصيدَ الثمينَ يا بنت اللذينة.

مونبارناس: (**سكران**) البت دى هتعطلنا يا معلم لايمونى عليها. (**يهجم عليها**)

إبونين: (**تكعبلة فيسقط أرضا**) اللي ح يفكر يُؤذى هذا الرجل وبنته، ح أبلغ عنه.

دناردييه: يا مُغفلة! أنتِ لا تعرفينَ هذا الثعلب العجوز. إنه جان فالجان الذي...

إبونين: ...أمضى في السجن 19 عاما بسبب رغيف خبز. عارفه. غيره بيسرق ليل ونهار ويَعْرفُ طريقَ الفرار.

بروجون: (**يهجم عليها فتتصدى له فيتقهقر**) يا بنت الـ... يا سيدتي إبونين الجميلة، الشغل مفيش فيه عواطف.

بابيب: (**يلف الجنزير حول رقبة دناردييه ليهدد إبونين**) لو ماسبتيناش نشوف شغلنا، ح أخلص على أبوكي.

إبونين: ولع فيه بعيد عن هنا!

دناردييه: (**يجذب الجنزير ويُسقط بابيب تحت قدمه ويتفرغ لإبونين**) يا بنت النكدي ما تنشفيش دماغك. المفروض إنتي اللي تساعدينى، كي أخلصَكِ مِنْ هذا الرجل وابنته، عشان يخلالك الجو مع ماريوس.

إبونين: (**مأخوذة**) كيفَ عرفتَ أني ...

دناردييه: أبوكي مش مغفل. جاءتْ اليمامةُ وخطفتْ عُصْفُورَكِ وتركتكِ للأحزان. دعينا ننجزُ ما يَخُصُّنا لتستردي أنت ما يَخُصُّكِ. عصفورين بحجر واحد أهه! (**ينتظر حتى يطمأن لغرقها في أحزانها فيتركها ويصعد البلكونة هو ورجاله**) هيا بنا!

إبونين: (**لنفسها وسط المسرح**) حتى أبي عرف خيبة رجائي. صيَّرَني حُبُّكَ عُنوانًا للبؤسِ يا ماريوس. أنا في سوقِ البنات لا لا أساوي حتى الشفقة والرثاء. (**يتسلق ديناردييه البلاكونة**

مع رجاله ويفتحون بابها ويهمون بالدخول) ليكن. ولكنّي لنْ أفرّط في شيء يخصُّك يا ماريوس. **(تنادي)** آبا!! **(يلتفت إليها من البلاكونة هو ورجاله)** إن لم تتركوا هذا المنزل، فسأصرخ وأوقظ أهله جميعا!

ديناردييه: هش. إلعبي بعيد يا بتاعة ماريوس!

إبونين: حسنا **(تصرخ صرخة طويلة فيتساقط أثناؤها اللصوص آخرهم دناردييه)** لصووووص ....!!!!! الحذرَ يأهلَ البيت!

الثلاثة: آهـ يا بنت المجنونة! الفرارْ قبلَ أنْ يستيقظوا. الهربْ يا رجالة!

دناردييه: **(تساعدُهُ إبونين على النزول من البلكونة لكبر سِنِّهِ)** والله لأعرفنَّ شغلي معك يا بنت الحرام. ومن اليوم لا بيتَ لك عندي! اذهبي إلى حبيبك الجربوع وخليه ينفعك. **(يهرب)** لو شفتك فى بيتي ح أقتلك.

إبونين: المهم أني أنقذتهم والحمد لله.

فالجان: **(يظهر فالجان من باب البيت ممسكا مسدسا بينما إبونين تهم بالهرب)** مكانك أيها اللص! **(إبونين ترتبك فى البحث عن مهرب فيُطلق فالجان مسدسه فيشل حركتها)** قلت مكانك وإلا أفرغتُ المُسدَّسَ في رأسِكَ.

إبونين: لستُ لصًّا يا سيدي. أنا ...

فالجان: بنت؟! تمشين في هذا الليل المُخيف وتفتشين عن السرقة؟

إبونين: أنا لم أسرقْ ولم أحاول. فقط كنتُ ... أنا... أنا... أرجوك دعني أمضي فقد سَمِعَ رجالُ الشرطة الطلقَ الناري وسوف ...

شرطى1: مكانك أيها اللص!

شرطى2: أخيرًا نحظى بصيدٍ نعَمِّرُ به قسمَ الشرطة الخربان.

شرطى1: محتاج لشهادتك يا سيدي قبل أنْ نذهب بها إلى المخفر.

فالجان: ولماذا إلى المخفر؟ هي لم ترتكب جرما.

شرطى2: فلماذا أطلقتَ مُسَدسَك إذا!؟؟

فالجان: هتفَ شخصٌ ما: أنَ في بيتي لصوص، وسمعتهم يهربون.

شرطى1: **(ناصحا)** سيدي! الحُسنى مع أمثالها تضرُّ ولا تنفع.

شرطى2: ثم أن الفوضى في كل مكان بسبب الثورة.

شرطي1: هل أنت فى مأمن منها؟ هل تعرفها؟؟؟ **(تظهر كوزيت بالبلكونة ملهوفة)**

كوزيت: نعم أعرفُهَا. هي أختي، وقد جاءتْ لزيارتي.

إبونين: أرجوك يا سيدي، دعني أمضى!

شرطى1: اخرسي. **(لكوزيت مستنكرا)** تقولين إن هذه الحثالة أختك أنت؟

كوزيت: ولا كلمة زيادة. لقد أديتم عملكم مشكورين. ثم إنكم تعرفون المجرمين وتغضون الطرف ما دمتم تقاسمونهم ما يسرقون. فلا أقل من أن تتركوا البؤساء لحالهم! تعالى يا إبونين وسامحيني إن أغلقتُ البابَ حين تأخرتِ عليَّ. جايالك حالا. **(تختفي من البلاكونة)**

إبونين: أرجوكى سبينى فى حالي، كفاية اللى جرالي.

فالجان: أشكركما يا سيدي الفاضلين. هل لي أن أدعوكما لبعض القهوة!؟

الشرطيان: شكرًا يا سيدي. يكفينا المُحاضرة التي ألقتها علينا الأمورة ابنتك. هيا بنا (**يخرجان**)

فالجان: أنت إبونين صديقة ماريوس؟ تذكرتك الآن. بالتأكيد صرختُكِ هي التي نبهتنا إلى اللصوص. كيف أقدر لك معروفك يا إبونين؟

إبونين: تتركني أمضى وكفاني ألما.

فالجان: بل ابقي من فضلِكِ. أنت ضيفتي الليلة. (**موسيقى مشهد فالجان مع القس**) فالبرد قارسٌ والليلُ مخيفٌ. لقد أكرمني الرَّبُّ بكِ الله يا إبونين. ألا تحبين أن تخبريني عن اللصوص؟ (**صمت**) لا بأس. أنا أعرفهم. إنه ذناردييه الخمار ورجاله. يرُيدُ الجائزة.

إبونين: بإذنك يا سيدي. (**تهم بالانصراف فتظهر كوزيت من باب البيت**)

كوزيت: انتظرى يا أختي.

إبونين: ليسَ لمثلك أن تُآخى الحثالة أمثالي.

كوزيت: كذبَ والله يا إبونين. لك فى عنقي دينٌ ومعروفٌ.

فالجان: (**ينسحب**) سأعد لكما شرابا دافئا! (**يدخل البيت**)

كوزيت تلفت إبونين إليها فتتواجهان: كوزيت بجمالها ونظافتها، وإبونين ببؤسها وشعورها بالتضاؤل أمام غريمتها في حب ماريوس)

كوزيت: ما أجملَ وجْهَكِ يا إبونين! عيناكِ يسكنُهُمَا الحب. والحبُ ضياء.

إبونين: (**تفلت منها الشكوى دامعة**) فما بالُ الحُبِّ يقودني دومًا إلى الظلام؟

كوزيت: تحبينه؟؟

إبونين: لا! قصدي... من تقصدين؟؟

كوزيت: ماريوس. رأيتُكِ تتبعينَهُ كظلِّهِ. تخافين علية أكثر من نفسِكِ. هل حضرت ما دار بيننا منذ قليل؟ حين جاء لوداعي؟ (**صمت محرج لإبونين**) أنتِ لهُ خيرٌ مِنِّى. أنا عليهِ عِبْءٌ، وأنتِ له حِصْنُ أمان. فمن تستحقهُ منا؟!

إبونين: تستحقُّهُ مَنْ تسكنُ قلبَهُ. كوزيت، أنتِ قرأتِ الكتبَ ولك أبٌ علَّمَكِ الصلاة وحُبَّ الرَّبِّ، فهلا أجبتني: لماذا يتجرَّعُ بعضُ الأخيار كئوس البؤسِ صباحَ مساءٍ حتى الموت؟ ولماذا يهنأ بعض الأشرار؟

كوزيت: سؤالٌ مُعذبٌ يا إبونين، جرى به لسانٌ حزين. أبى يقولُ لي دائما...

فالجان: (**يأتى من الكالوس يحمل أكواب شراب ساخن**) اللهُ يَمنحُنا القوة والصَّبْرَ يا إبونين. وكلُّ شيءٍ فِي حِينِهِ وأوانِهِ. ألا تُحبِّينَ أنْ يَمْتحِنَ اللهُ قلبَكِ ليهَبَكِ مِنهُ جَنةَ الحُبِّ والغُفرَان؟ (**يقدم كوبا لإبونين**)

إبونين: جنةَ الحُبِّ؟! (**تتناول الكوب وتقربه أمام عينها وتنفخ في البخار فيتطاير**) فما بالُ قلبي يُحسها نارًا تَسْتَعِرُ؟

كوزيت: أنا مَنْ أشعلتُ نارَ قلبِكِ يا إبونين، وأعرفُ كيف أطفئها.

إبونين: (**تضع الكوب متوترة على الصينية**) لا...! باللهِ عليكِ لا تفعلي شيئا يُحزنُهُ يا كوزيت. أنا أخطأتُ حين تركتُ العنانَ للساني يبوحُ بما لا يَجِبُ أنْ يُقال. لا تجعلي الندَمَ ينهشُ قلبي يا أختي.

فالجان: رُويدَكِ يا إبونين. لا تجزَعِي مِنْ شيءٍ. سنرحَلُ في الصباح عن هذا البلد.

كوزيت: نرحل؟!

إبونين: ترحلان؟

فالجان: نعم مازال الماضي حيا يتْبَعُ خُطى البؤساءِ. مازالَ الشوط كبيرًا. جهزي نفسك يا كوزيت. في الصباح نرحلُ إلى ميناءِ كالييه.

إبونين: لا يا سيدي لا تفعل! سوف يفقدُ الأملَ ويستسلمُ لموتٍ يتربصُ به! قولي له ألا يفعل يا كوزيت. (**تبتعد شغفا لتخبرَ ماريوس**) بالله لا ترحلا فالعاقبة هي الخُسْرَانُ. (**يخرجان**)

كوزيت: (**تبكي**) تُحِبُّهُ يا أبى حتى الموت. تحبُّهُ حتى قبلَ أنْ أراهُ، ولكنَّهُ لا يدري بحالِهَا. هلْ أنا هذه الثعبانة التي أحزنتْ قلبَ إبونين المسكينة؟

فالجان: إذنْ يكونُ في الرَّحِيلِ دواءٌ لأوجاعي وأوجاعِكِ يا كوزيت. والصبحُ موعدنا. (**يخرجان**)

إظلام

اللوحة التاسعة

شارع فييت ـ الثوار يقيمون المتاريس ويحصنون أنفسهم

جافروش: لابدَّ أنْ نَنْتَهِيَ مِنْ بناءِ المتاريس في الحال. (**يشتغلون**)

كومفير: هل عددُ البنادق كافٍ للجميع؟

انجولرا: البنادق كافية ولكننا نحتاج إلى ذخيرة.

لولى: سوف نحصلُ عليها مِنَ الجنودِ القتلى هناك، عند أنفاقِ المجاري.

ماريوس: دَعُوني أقومُ أنا بهذه المهمة.

جرانيتر: ابقَ أنت يا ماريوس. أنا أعرفُ كيفَ أذهبُ إلى هناك بعيدًا عن الخطر. (**يجري إلى الخارج**)

كورفيراك: فليتحملْ كلٌّ منكم مسئوليته!

بروفير: سوف نؤدى واجبنا بقلبٍ من حديد.

لزلى: نحنُ بحاجةٍ إلى معلوماتٍ عن عددِ الجنود وأماكنِ تجمعِهِمْ.

جافروش: إنَّهُمْ يَغترُّونَ بعددهم وعتادهم.

ماريوس: ولكننا بما نؤمن به سنلقنهم درسًا لن ينسوه.

ضابط الجيش: (**ينادي من الخارج**) أنتم يا من تقفونَ هناك وراءَ المتاريس! اسمعوني جيدًا. لن ينضمَّ إليكم أحدٌ مِنَ الجماهير في قتالكم الغيرِ قانوني. أنتم وحدَكُمْ بلا عون ولا صديق.

سلموا أسلحَتكم وسوف تحظون بمحاكمةٍ عادلـة. هـذا هـو السـبيلُ الوحيـدُ أمـامكم إلـى النجـاة بحياتكم، وإلا فالموتُ هو البديلُ!

انجولرا: اللعنةُ على إنذاراتكم وأكاذيبكم!

فوى: سوف تشهدون بأعينكم انتفاضة الشعبِ من أجل الخلاص!

جافروش: الموتُ لأعداءِ الشعب!

الجميع: الموتُ لأعداءِ الشعب!

لولى: هل نبدأ باطلاقِ النار يا جافروش؟!

جافروش: دعونا نحسب حسابتنا أولا. **(يلتف حول ثلاثة او اربعة فى تشاور)**

جافير: **(يدخلُ متنكرا فى زي غير رسمي)** سوف أعرف كُلَّ شـيءٍ عـن خططهـم ونوايـاهم. إن حماسَهُمُ الفارغُ سيفضي بهم إلى الموتِ لا محالة! خبرَتِى مع هـؤلاءِ الخـارجين عـن القـانونِ والنظامِ أكبر من شعاراتهم الساذجة!

كومفير: سيعلنُ الشعبُ الحَرْبَ اليوم!

انجولرا: سيفعلُ الشعبُ ما هو حقٌّ!

جافير: أيها الشباب... اسمحوا لي بكلمة من أجل حياتكم الغالية.

جافروش: ماذا تريد أيها الرجل؟

ماريوس: من أنت أولا؟

جافير: فرنسيٌّ شريفٌ أريدُ لثورتِكُمُ النصرَ. لقد مللنا الظلم والقهرَ مثلكُم، ولكن الـرأيَ عنـدي أن تتركوا هذا الشارع وتتقهقروا قليلا إلى الحواري والطرقاتِ الضيقةِ حيثُ يُمكنكُم الاختباء!

كورفيراك: جنرال سابق يا خَيٌّ؟!

انجولرا: وما الهدف وراء رأيك هذا أيها الرجل؟

جافير: سيدى أنـا لكـم مـن الناصـحين، فقـد ذهبـتُ إلـى خطـوط الجـيش وأحصـيتُ عـددهم. مـن الأفضل لكم أن تتجاهلوا الإنذار لكن بشرط؛ أن يـذهبَ كـلٌّ مـنكم إلـى بيتـهِ ولا يَبْرَحُـهُ حتـى تنقشع الغمة. إن أعدادهم وأسلحتهم أضعافُ ما تمتلكون. والخطرُ يُهدِّدُنا من كلِّ جانـبٍ. لـيس أمامنا إلا الحيلة، حتى نتمكن ذاتَ يوم من أن نجعلهم يركعون.

ماريوس: سيدي أكاد أجزمُ أني رأيتُكَ ذات يومٍ في زيٍّ آخرَ!

جافير: **(يخفي جانبي وجهه بياقة الجاكت ويتلفت)** سيِّدي لـيس الوقـتُ للتعـرُّفِ علـى بعضـنا. إنى أعرف خطط الجيش ولهذا أتيت إليكم مخاطرا بحياتي.

ماريوس: وما هى خططهم أيها الـ...الناصحُ الأمين؟!

جافير: لـن يبـدأوا الهجـومَ الليلـة. سيحاصـرونكم حتـى تموتـوا جوعـا ثـم يمطـرونكم بوابـلٍ مـن الرصاصِ من كلِّ اتجاهٍ. أنا فعلتُ ما يمليه علـيَّ ضـميري وانتهـى دورى. بـإذنكم يـا سـادتي. **(ينصرف)**

جافروش: **(يواجه جافير)** نشكر لك على صنيعك يا سيدى جافير، مفتش الشرطة!

الجميع: مفتش الشرطة؟!

ماريوس: جافيرُ الثعلب العجوز يطمعُ أن يُنهيَ حياتهُ البوليسية بنيشانِ القبضِ على ثوارِ الشعب!

جافير: احذروا أن تمسوني بسوءٍ، فأنا رجل بوليس!

ماريوس: أنت رجلٌ بلا قلب. أنت غبى كثور يدور فى ساقية بالأمر.

جافروش: قيدوا هذا العجوزَ كأولِ أسيرٍ لحربنا من أجل الحرية! (**يقيدونه**)

فوى: انظروا هناك! إنه جرانيتر يحملُ صندوقَ الذخيرة!

جافير: سوف تندمون على كل ما تفعلون يا حفنة الأغبياء!

كورفيراك: ولا كلمة يا عدو الشعب. (**يضعه بركن ويقف بجانبة**)

بروفير: إن جرانيتر ليس وحيدًا. هناك صبيٌّ يحملُ معه صندوقا آخر.

انجولرا: يا له من صبى جريء! إنه يعبُرُ المتاريس الى هنا!

ماريوس: (**ظهرت إبونين تحمل صندوق متفجرات**) إبونين؟؟ حذارِ يا إبونين، ليس من هنا!

جافروش: إبونين ابنة ذناردييه الخمار؟

ماريوس: هل جُننت يا إبونين؟انت تخاطرين بحياتك!

إبونين: جئتُ لأجل خاطِركَ يا ماريوس.

جرانيتر: (**يضع الصندوق**) رأتني أنوءُ بحمل الصندوقين فحملتْ عني أحدهما.

الجميع: عاشت إبونين!

إبونين: احذروا من جافير مفتش الشرطة، فهو جاسوس يريد الايقاع بكم!

جافروش: نشكرك يا إبونين الجريئة. عرفنا أمر جافير وقبضنا عليه.

ماريوس: لابد أنْ تعودي لبيت أبيك يا إبونين. هنا ليس مكانا للهو والمخاطرة.

إبونين: لم يعُدْ لي مكان فى بيت أبى. وهذه قصة لا وقت لها الآن. لكن الذي آتى بي إليك هو أمرٌ يخص كوزيت.

ماريوس: كوزيت؟ ما بها؟

إبونين: سيأخذها أبوها ويسافرا بالبحر من ميناء كاليه فى الصباح.

ماريوس: إلى أين يا إبونين؟ وكيف عرفت هذا الخبر؟

إبونين: ليس مهما كيف عرفتُ. ولا أعرفُ إلى أين يسافران. فماذا ستفعل؟

ماريوس: أنا لا أستطيعُ أنْ أتركَ مكاني لأجل ما يخصني. (**يخرج ورقه وقلم ويكتب**) سأكتب لها كلمة يا إبونين وليس لي من أأتمنه عليها.

إبونين: (**لنفسها بينهما هو يكتب**) ليتنى مكانها وليت هذا الخطاب لي. أتحبها إلى هذا الحد يا ماريوس؟

ماريوس: احمليه إليها قبل سفرها يا إبونين، وسيأتي يومٌ أردُّ لكِ هذا الجميل.

إبونين: سأفعلُ لأجلِكَ يا ماريوس، ولأجل حبك الكبير. (**تخرج**)

جافير: إني أحذركم مما تصنعون! أنتم تلعبون بالنار أيها الصبية الأشقياء!

جافروش: هل أنتم جاهزون يا شباب ؟ سنطلق النار بمجرد أن يبدأوا ذلك.

جافير: لن يُطلقوا النار إلا حين تيأسون.

ماريوس: خذوا حذركم. كل واحدٍ يُخفي رأسه ويصوبُ على الجنود. فقط احذروا أن تصيبوا البيوت والنوافذ.

جافروش: وفروا الذخيرة قدر الأمكان. إنها خدعة ليستزفوا قوتنا. **(وابل من النيران من الطرفين ينبطحُ جافير. الكل يقاتلون فى بسالة وتبدأ الإضاءة فى الذوبان)**

أغنية تدل على الحماس والبسالة

إظلام

اللوحة العاشرة

(شارع بلوميه حيث منزل فالجان)

إبونين: **(تدخل جريا تحملُ الخطابَ وتذهب إلى البلكونة ترمي الخطاب بالبلكونة وتتصرفُ لكنها تعودُ فى تردد)** ها أنا قد أصبحتُ وحيدة. فقدتُ أبي من أجل ماريوس وحبيبته. ولا مكان أوي إليه. واللحظات الحاسمة تمرُّ سريعًا دون أنْ أعرفَ مصيري. هى سترحلُ في الصباح إلى بلدٍ جديدٍ. ولكنها حتما ستعودُ. وهو سوف يعيشُ بفضل الله ودعواتي المخلصةِ أنْ ينجوَ من هذا الخطر وراء المتاريس. وسيلتقيان يومًا ما. أما أنا...!!! فلي الشوارعُ والبردُ والليلُ الكئيبُ. تُرى ماذا قلت لها ياماريوس فى هذا الخطاب؟ أودُّ لو أعرفُ القراءة لأقرأ ماذا قاله عاشقٌ مثل ماريوس لفتاةٍ جميلة مثل كوزيت. **(تعود وتأخذ الخطاب من البلكونة تعانقة وتدور به في كل مكان)** أكادُ أسمعُ دقاتِ قلبِكَ يا ماريوس فى هذه الورقة الصغيرة. **(إلى البلكونة تنادى)** كوزيت! **(تهمس)** فلتهنأي يا كوزيت، لك عاشقٌ يهيمُ بك حُبًّا، ولي الليلُ والبردُ والمطر. **(تنادى ثانية)** كوزيت! **(تهمس)** أسألُ الله ألا تكون قد سافرتْ هي وأبوها قبلَ أنْ أؤدي أمانتي إليها. **(تقفز إلى البلكونة تطرقُ البابَ ثم تقفز إلى الشارع ثانية)** كوزيت! أجيبى إن كنت هنا!

كوزيت: **(تفتح الباب)** ترى لماذا تأخرتَ يا أبي في لميناء هكذا؟ من أرى؟ إبونين؟! لا تبتعديا إبونين.أقبلي. ما هذا الحزنُ المعقودُ في عينيك؟ بالله لا تخبريني بشيءٍ أكرهُهُ عن ماريوس. أرجوكِ يا إبونين لا تقولي كلمةً ينفطرُ لها قلبي. أهو بخير؟؟؟

إبونين: اطمئني. هو بخير وقد أرسلني لك بهذا الخطاب.

كوزيت: خطابٌ من ماريوس! ومن تحمله؟ أنت يا إبونين يا رسول الحبِّ المعذبِ بيننا!؟

إبونين: كلمةٌ منكِ ستمنحُهُ الصَّبرَ والقوة هناك.

كوزيت: خديني إليه! أرجو أنْ أكون بجانبه الآن.

إبونين: أنا أعلمُ منكِ بالطرق الآمنة. اكتبي له وسأعودُ بالخطاب إليه. **(لنفسها)** أكاد أسمعُ كلماته لها في الخطابِ رغم جهلي بالقراءة.

تغنى إبونين اغنية تدل على عذاب الحب الواقعة به

ص. ماريوس: يا أعزَّ مخلوقٍ لديَّ!

إبونين: (**تنزوي تترجم مشاعرها**) حين يجيءُ الليلُ أفكِّرُ فيك!

ص.ماريوس: أترحلين قبلَ أنْ تشهدى مولدَ زمننا الجديد؟

إبونين: واغمضُ عيني فأراكَ بصحبتي.

ص. ماريوس: لقد وُلدَ العالمُ من حولي يوم بدأنا ثورتنا التى ولدَ معها حبُّنا الكبير.

إبونين: أشعرُ بذراعيك حولي.

ص. ماريوس: صارَ الموتُ بغيضًا لي منذُ عرفتُ أنك تحبينني.

إبونين: ونمشي في الطرقاتِ وتحتَ المطر نغني.

ص. ماريوس: أدعو الله أنْ أعودَ سالمًا لكي أراكِ.

إبونين: فتتراقصُ الأنوارُ على الطرقاتِ تُجاوبُ دقاتِ قلبِ العاشقين.

ص.ماريوس: صلي من أجل ماريوس والرفاق يا كوزيت! فأنا أصلي من أجلك خلفَ المتاريس.

إبونين: وتلمعُ النجوم باسمة من خلف أوراقِ الشجر!

ص. ماريوس: وإنْ مُتُ في المعركة يا كوزيت...

إبونين: وحين يجيءُ النهارُ، أفتحُ عيني...

ص. ماريوس: فأعلمى أنني عشتُ ومُتُّ لحبِّكِ.

إبونين: فأعلمُ أنَّ الأحلامَ سرابٌ.

ص. ماريوس: إلى اللقاء.

كوزيت: يا ويلَ قلبي وضميري يا ماريوس، يا إبونين! (**تقلبُ الخطابَ وتكتب على ظهره وتقرأ ما تكتب**) ماريوس سامحنى، لقد رحلتُ مع زوجي الذي اختاره لي أبي، فلا تبحث عنى. التي تحبكَ أكثر من هذا العالم هي رسولُ الحبِّ المُعذبِ بيننا، حبيبتك هي إبونين لا أنا! (**تنادى**) إبونين، عزيزتي! أعرف أني أشقُّ عليكِ. لكنْ هذا هو ردي إليه، كتبته على ظاهِرِ خطابه. أوصليه إليه ولا تخاطري بنفسك وسط المعركة. لي رجاءٌ آخر يا أختي قبلَ أن نفترقَ: لا تقرأي ما كتبتُ لماريوس.

إبونين: أنا لا أعرفُ القراءة يا كوزيت، ولكن بالله عليك هل كتبتِ له ما يؤلمه؟

كوزيت: كتبتُ له ما يَشفي أوجاعَ ضميري، وأنتِ يا إبونين ستقدرين كلماتي يوما ما! أسرعي إليه قبل فوات الآوان.

إبونين: كوزيت! إن استطعتْ ألا ترحلي فابقي! فذلك يسعِدُهُ.

كوزيت: سأعرفُ حين يعودُ أبي، ولكن أسرعي، فلمثلِ هذا يُسْرِعُ العشاقُ.

إبونين: سأفعلُ يا كوزيت لأجلِكِ ولأجل ماريوس. (**تخرج وتصطدم بفالجان**) سيدي! معذرة ولكنْ هل حقا ستسافران؟

فالجان: (**لـ كوزيت**) لا سفن ولا قطارات يا كوزيت! ولا توجدُ أي وسيلة أخرى للتنقل. تعطلتْ كلُّ المواصلاتُ بسببِ الثورة.

إبونين: بشرى لك يا ماريوس!

كوزيت: أسرعي يا إبونين! هيا لا تتواني! **(تخرج إبونين)** لماذا تكلمتَ أمامها يا أبي؟ كنتُ قد أوشكت أن ...

فالجان: اسمعيني جيدًا يا كوزيت، فلا وقتَ لشرحٍ وتفسيرٍ. **(يسلمها ظرفا)** هذا الظرفُ به كلُّ الأوراق التي تثبتُ ملكيَّتَكِ لهذا القصر والمصنع وكلِّ ما أملِكُ. لقد نقلتُ مِلكيَّتَهَا جميعا إليك.

كوزيت: سلمْتَ لي يا أبي ....ما الأمرُ؟ لِمَ فعلتَ هذا!؟

فالجان: **(يخرج خطابا آخر)** وهذا ظرفٌ أهم من سابقه؛ لقد كتبت لك فيه الجوابَ عن كلِّ سُؤالٍ سَألتِ عنْ الماضي والأيامِ البعيدة التي تمنيتِ دومًا أنْ تعرفي عنها. اقرئيه جيِّدًا. والأهمُ أنْ يقرَأهُ من ستتزوجين قبل أن يتمَّ الزواج. وأرجو ألا تخجَلَ كوزيت من أبيها بعدما تقرأ ما كتبَ.

كوزيت: ما هذا الغموض يا أبي؟ كأنك تودعني!

فالجان: إني ذاهبٌ لما يجبُ عليَّ فعلهُ. سأنضمُّ للثوار لأنالَ الشَّرَفَ الذي تمنيْتُ طوالَ حياتي. **(يخرج مسدسا)** خذي هذا واجعليه قريبًا منكِ دائما. فالفوضى تجتاحُ المدينة، واللصوصُ ينهبونَ البيوتَ. لا تطلقي النارَ على أحد. فقط في الهواءِ ليهربوا.

كوزيت: أبي. الخوفُ يجتاحُ قلبي! لمْ أعتدْ فراقَكَ لأيِّ سببٍ. خذني معك ولألقى مصيرك.

فالجان: مصيرُكِ أنْ تتزوجي وتنجبي الأطفالَ وتعلميهم أنَّ اللهَ خلقنا أحرارًا، وأنَّ الحُرِّيَّةَ عَهْدٌ والتزامٌ. **(يخرج)**

كوزيت: **(تتبع خطواته)** آبي! أبى...! **(تقفُ في يدها الخطابين والمسدس، تدور في المكان خائفة)**

تغنى كوزيت أغنية تدل على الخوف

إظلام

اللوحة الحادية عشرة

قبيل الفجر. شارع فييت حيث المتاريس والقتال. جافير مكبلٌ فى ركن مع جرانيتر.

ماريوس: كومفير، فوى، كورفيراك! الزموا هذا الجانب!

جارفوش: أخفوا رؤسكم خلفَ المتاريس فقد استدعوا قناصة الجيش كي يصطادونا كالفئران.

كومفير: سنلقنُهُمْ الدَّرْسَ كاملا!

كورفيراك: إنْ قُدِّرَ لي أنْ أموتَ في هذه الحرب من أجل الحرية، فستجدون جثماني فى أكثر المواقع صعوبة.

فوى: فليأتوا إذن إذا كانت لديهمُ الجرأة. **(يرفع رأسة ساخرا)** أنتم أيها الفئران!

ماريوس: اخفض رأسك يا فوى. **(لا يستجيب فى شجاعه متهورة)** ستعلمون لمن تكون عاقبة السوء. **(طلق نارى يسقط على أثره فوى)**

الجميع: **(هاتفين)** فوى!

جرانيتر: (**يجر جافير معه كدرع بشرى**) تبا لهؤلاء الكلاب.

جافير: ستندمون على هذا التمرد.

جافروش: اخرس أيها الذئب العجوز. (**تجمع معظمهم عند فوى**) حذارِ من التجمُّع حوله.

ماريوس: فليلزمْ كلٌّ منكم مكانه! عودوا إلى صفوفكم.

فوى: (**يحاول الكلام**) ماريوس! النصر لنا! إنَّا مُنتصرون (**يختنق**)

جافير: إنه يختنقُ. هذا مصيرُكم جميعًا. سلموا أنفسَكُمْ تسلموا!

ماريوس: (**يخطف جافير**) تعال أيها الذئب النتن. (**يقف خلفة ويعرضه نحو القناصة**) أنتم يا من هناك! هذا أولُ أسراكم لدينا. انظروا ماذا سأصنعُ به! (**يصوب نحوه مسدسه ليطلق عليه الرصاص**)

جافروش: ماريوس! حذارِ من الانسياق وراء الغضب!

بروفير: لم نقمْ إلا لنطفيء نيران الحاقدين. فهل نقلدهم؟

ماريوس: (**يجذب جافير لأسفل**) سوف يقرر الشعبُ مصيرَكَ أنت وأمثالك بعد النصر. (**يركع جافير فى ذل**) قل كلمة يا فوى. فوى! (**يهز فوى فيستجيب متألما**)

فوى: أنا... أنا ...

جافروش: (**يتابع من مكانة ما يجرى لفوى**) ساعده على التنفس يا جرانيتر.

انجولرا: انظر يا ماريوس. البنتُ التي أرسلتها بخطابك لكوزيت.

ماريوس: إبونين! تجنبى هذا الطريق!

جافروش: يصوبون نحوك يا ماريوس. (**طلق ناري**) الطلقة أصابت إبونين بدلا منك.

ماريوس (**إبونين تأتى نشيطة**) ليس من هنا يا مجنونة! (**يسحبها نحوه وهى تعبر المتاريس**)

انجولرا: ألا ترينهم هُناكَ على بعد خطوتين؟ هل أنت بخير؟

إبونين: بخيرٍ ما دُمتمْ سالمين. (**تبتسم**) تخافُ عليَّ يا ماريوس؟هذه سعادتى تتحققُ.

ماريوس: لأجل من هم مثلك قمنا يا إبونين. لماذا أتيت؟

إبونين: لأطمئنك. (**تضعف**) لن ترحل كوزيت. تعطلتْ السفنُ والقطاراتُ بسبب ثورتكم. لقد سلمتها خطابك فردَّتْ عليه فى الظهر. (**تعرض له الخطاب وهي تترنح**)

ماريوس: ترى؟ ماذا كتبتْ أناملُهَا الرقيقة؟(**يقرأ**) ماريوس سامحنى رحلتُ مع زوجي الذي اختاره لي أبي. التي تحبك أكثر من العالم هى ... إبونين؟؟ (**إبونين تتراقص رأسها على رقبتها**) هل حقا تحبيننى؟ هل ... إبونين ماذا أصابك؟ بم تشعرين؟ (**يسند رأسها بين يديه**)

إبونين: لا شىء. لا ألم، لا خوف. أنت هنا وأنا بجانبك. وسوفَ تنمو الأزهارُ من رذاذ المطر.

ماريوس: إبونين لقد أُصِبْتِ، ولكن أين جُرحُكِ؟ (**يسحب يده اليمنى من خلف رأسها فاذا بها ملخطة بدمها**) الرصاصة اخترقت رأسك يا إبونين. إليَّ بالطبيب!

جرانيتر: مات فووى.

الجميع: (**صخب وغضب وجمل متداخلة**) القتلة الكلاب الخونة! أطلقوا النيران في كلِّ اتجاهٍ! أبعدوا هؤلاء القتلةِ المجرمون. نريدُ الحياة بدونِ الخوف، بدون القهر. اقتلوا المجرمين!

ماريوس: (**يخلع قميصة ويكتم به رأسها محاولا إيقاف النزيف ويحاول حملها للخارج**) هيا معي يا إبونين! مازال أمامنا وقت.

إبونين: (**تجذبه اليها لأسفل**) اخفض رأسك. إنهم كلاب مدربة. لا وقتَ هناك لشيءٍ. فقط: ضمَّنِي إليك، وابعثْ السكينة في نفسي. (**يفعل**) هل تدرى ما أقبحَ ما في الموتِ؟ أنه سيحْرِمُنِى النظرَ إلى عينيك!

ماريوس: (**يبكى**) لا تموتي يا إبونين! لم أقصدْ أبدًا أنْ أهينَ مشاعرك. لم لا تخبريني يومًا بأنك ... أقسمُ أني لم أكن أدرى أنكِ... إبونين ...! (**يبكى على كتفها**)

إبونين: عيناك نجمتان لامعتان، وأنا وحدي أسيرُ في المطر، أطاردُ النجومَ فى عيون الليل، أتوهمُ أنكَ بجانبي، وذراعُكَ حَوْلِي، والأنوارُ تتراقصُ ... علي دقاتِ قلبي. لكنِّى الآنَ أجدُ بيتا فى السحاب. ليتَ لى عيناكَ الجريئتان يا ماريوس! وإذن، ما خِفْتُ المَوْتَ ... ولا الرَّحِيلَ! (**تموت**)

ماريوس: آه يا إبونين! كانت حياتُك باردةً مظلمةً. بَخِلَتْ عليكِ الدُّنْيَا بالحنانِ وبَخِلْتُ أنا بالحبِّ. لكنك كنتِ فى الحَيَاءِ والنُّبْلِ مثلاً. وما عرفتِ الخَوْفَ ولا الطمعَ.

كومفير: باسمها وباسم فوى سنقاتلُ حتى الموت.

لزلى: لن نخونهما حتى النهاية.

جافروش: انظروا من القادمَ من الخلف!

انجولرا: مكانك وإلا أرْدَيْتُكَ. (**يدخل فالجان**)

ماريوس: اتركوه! إني أعرفه. (**لفالجان**) فيمَ وجُوُدُكَ هنا يا سيدى؟ ابحث لنفسِكَ عن مخبأ غير الميناء والهرب.

فالجان: إنما جئتُ متطوعا للقتالِ. فليعطني أحدكم بندقية.

جافروش: من يكونُ الرجلُ يا ماريوس؟

ماريوس: رجلٌ رأى فيه ابنتهِ كنزًا أكبر من أن يعطها لي.

فالجان: لستُ أفهم عَمَّ تتحدثُ يا ماريوس. ولكني أريدُ بندقية، ولأكُنْ في أول الصفوف. حتى إذا تراجَعْتُ أو خُنتُ؛ يقتلنِى أحدكم.

انجولرا: خذ هذه وأحسن استخدامها.

لولى: (**مشرئبا للكالوس بعيدا**) احذروا هناك ضابط يتقدمُ نحو المتاريس وخلفه خمسون جنديًّا أو يزيد. (**فالجان يطلق النار**).

الجميع: (**مهللين**) لقد اصابه! إنه قناص! إنه جيش بكامله.

جافير: اجتمعَ اللصُّ والكلابُ على مأدبة الخيانة.

فالجان: من أرى؟

جافروش: أسيرَنَا الأولَ؟ تستطيعُ أن تعتني به يا سيدى! تصرف في أمره.

جرانيتر: بحقِّ الله إني أشمُّ بوادرَ النصر في هذا اليوم.

فالجان: (**يجر جافير إلى مكان آمن للتفاهم**) احذروا أن يأتونا من الخلف.

جافير: الحقُّ أصبح باطلاً والباطلُ أصبح حقا! اللصُّ هو السيد والسَّجانُ، ورجالُ العدلِ والقانونِ...

فالجان: ولا كلمة يا جافير!

كورفيراك: العدو الآن يعيدُ ترتيب صفوفه.

فالجان: هانحن نتقابلُ يا جافير في ظرف اعتدل فيه الميزانُ.

جافير: بل انقلبَ حالُ الدُّنيا. أعرفُ أمثالك وما يُكنُّونَ في صُدُورهِمُ الخربةِ؟ كنت تشتاقُ إلى هذه اللحظةِ! افعلها فعلة المجرمين الذين عشتَ بينهم. ولكن احذر! فالقانونُ ينتصرُ دائما.

فالجان: (**يُشهر سكينا ويضعه على رقبته**) قانونُ السماءِ لا قانونُ الطغاةِ. (**يطعنه من الخلف فاذا بالطعنة هى قطع حبل قيد جافير**) اهرب يا جافير إني أمنحُكَ حياتك!

جافير: تقايضني على حياتي؟ لن أتركك تهربُ مهما فعلت.

فالجان: أنا لا أقايضُكَ يا جافير. فقط اهرب! انجُ بحياتِكَ وأعلم أني لستُ أسوأ من أيِّ إنسان. كلنا بشرٌ نخطئُ ونصيبُ. هل تفهمُ كلماتي؟

جافير: ما أفهمُهُ أنك لصٌّ تسرقُ ما تحتاجُ إليه. تعيش بالخروج عن القانون.

فالجان: فما الذي يدفعني لفك أسركَ وإنقاذِ حياتك.

جافير: حياتُك. تريد أنْ أعفو عنك مقابلَ معروفٍ قذر تُلقيهِ لي. ولكني لن أتركك ما حييتُ. أطلقْ الرَّصَاصَ عليَّ إنْ شئت. ولكنِّي سوف أطاردك.

فالجان: لن أبادِلكَ الضغينة. أنت حُرٌّ، وافعل بي ما شئت، اليوم أو غدًا. ستجدني في منزل 55 بشارع بلوميه. إن عشتُ للغدِ فتعالَ واقبضْ عليَّ إن رأيتَ أنَّ سرقة رغيفٍ من الخبزِ يُكلفُ المرءَ حياته كلها.

بروفير: احذروا ضابط آخر سيُعطي اشارة باطلاق النار.

فالجان: اهربْ قبل أنْ يفوتَ الأوان. (**يدفعه نحو الخارج فلا يخرج - ثم للثوار**) ردِّدُوا معي! النصرُ للحريةِ! النصرُ للحياةِ! النصرُ للبؤساءِ في كلِّ مكان.

جافير: ماذا تقصدُ مِنْ كلِّ هذا يا فالجان؟ (**وابلٌ نيران على الثوار**)

ماريوس: انبطحوا وابل من النيران.

جافروش: يريدونها محرقه كبرى لنا جميعا.

فالجان: (**يأخذ رأس جافير لأسفل ليحميها من الرصاص**) قلتُ لكَ اهربْ ولا تعُدْ إلى هنا! (**يدفعه بقوة للخارج فيختفي فيعود للثوار**) هيا أعطوني بندقية محشوة ولينظر أحدكم ليحمي ظهورنا.

ماريوس: نحتاجُ إلى بعض الذخيرة. دعوني أحضرها لكم! أنا أعرفُ مكانها.

فالجان: (**يجذبه لأسفل**) ابقَ مكانك حتى تهدأ النيران.

جافروش: أنا أسرعُ منك يا ماريوس. (**يعبر المتاريس**) احموا ظهري! (**تصيبة الطلقات**).

الجميع: جافروش!

جرانيتر: احذروا! أنهم يستعدون لإطلاق القنابل.

لزلى: ماتَ جافروش!

بروفير: فلنقلل من الضحايا قدر الإمكان. (**تسقط قنبلة فينتشر الدخان فى كل مكان**)

فالجان: التفتوا للخلف! إنهم وراءنا. نحن محاصرون! (**يلتفت بعضهم ويطلقون النيران**).

كورفيراك: أطلقوا النار فى كل اتجاه. أسمعوا الناسَ قتالنا لينضموا إليْنا.

انجولرا: فلنمُتْ ونحنُ واقفون! (**يطلق النيران ويموت**).

كومفير: الموتُ للطغاة.

ماريوس: ردِّدُوا معي: النصرُ للحريةِ! النصرُ للحياة! النصرُ للبؤساءِ في كلِّ مكانٍ! (**انفجاراتٌ ودخان كثيفٌ وجنود يجرون فى كل مكان**).

أغنية تدل على الأمل فى تحقيق النصر والسلام، انفجارات مرة أخرى وطلقاتٌ نارية، يأتي الجنود المنتصرين يتفقدون المكان ليطمئنوا على النصر. الأرضُ مُغطاة بالجميع موتى متناثرين.

دناردييه: (**يدخلُ هو وزوجته كالصياد الذى يشمشم على فريسة وقد هدأ المكان**) ما أجملَ الحُرُوبَ يا زوجتي الحبيبة!

م. دناردييه: ما أبشَعَ الحُرُوبَ وما أفظعَ وجَهَ الموت.

دناردييه: (**يتقافز وسط الموتى كأنه يرقص**) سرعان ما يتعودُ المرءُ على رائحةِ الدَّمِ وشكلِ الموتى. أنا في هذه المواقفِ خبيرٌ لا يهتزُ لي رمشٌ. هذا المشهدُ يذكرني بمعركةِ واترلو. انهزم نابليون وربحتُ أنا. عملت ثورة نتمرغُ في خيرها حتى اليوم.

م. دناردييه: (**عند أحد الشباب الموتى**) شايف هذا المسكين؟ شرب عندنا ذات يوم كأسين من البيرة، ولم يدفع الحساب!

دناردييه: أهو اللي يشرب بيرة ببلاش يستاهل اللي يجراله! (**يفحص فم الشاب**) آه. فتفوتة دهب يحشو بها سِنَّهُ. تسمحْ يا حضرتْ؟ معلش حقّ البيرة والباقي علشاني!

م. دناردييه: اختلطَ الحابلُ بالنابل. الجثثُ ملقاة على كلِّ الأرصفة!

دناردييه: ولابد حد ينظمها ويشطب على الحاجات والمحتاجات. (**يخلع ساعة أحد الشباب**) باردو مسييه، الساعة بالنسبالك وقفت من ساعة ما خلعت بدرى يا عين أمك. هل معك شيءٌ آخر تتركه هديه لذناردييه المسكين؟ (**يركله**) مفلس! فى جهنم!

م. دناردييه: عندك حق يا ذناردييه. لابد من جمع هذه الغلة قبل أن يدفونها فى الوحل.

دناردييه: أيوه كده اسخني معايا. العالم فوضى يا زوجتي، والشاطر من يحسم أمرَهُ ويعرفُ كيف يلتقط رزقه! ناس يقتلونَ ناس، وناس مع ناس ضد ناس. ولعبة مُقرفة وآخرتها الموت. (**يصل إلى ماريوس**) هبا لالا! اتعرفين من هذا الشاب؟؟ إنه الشاب الذي أحبته إبونين. وقالع القميص ومديها قوى؟؟ (**يخلع ساعة ماريوس**).

م. دناردييه: (**تأتى لترى**) خسارة فى الموت. كان واد مِتِعْ.

دناردييه: أحبته إبونين ومسألش فيها.

م.دناردييه: دا لابس خاتم دهب!

دناردييه: متشكرين يا عريس! (**يتهكم**) أكيد تذكار من فلانة بنت فلان.

م. دناردييه: وتلاقيه ظل يتنهد لحبيبته وهما يفترقان، فألبسته الخاتم لعله يعودُ بالسلامة. (**يمثلان**) خد بالك من نفسك يا اسمك إيه!

دناردييه: راجعلك يا روحي. ح أروح أعمل فيها شجيع وح أرجع نتجوز.

م. دناردييه: فى داهية! (**تتفقد الموتى بالقرب من جثة إبونين**) مفيش حاجه هنا تنفع جتكوا القرف!

دناردييه: (**يُمسك بقميص ماريوس**) أعرفه بقميصه هذا. وكنت أتمنى أن اشتريه. لكنه ملطخ بالدماء. تسمح لي إذن بالبنطلون الحلو ده؟ لازم أبعتك الآخرة سلبوتة. (**يهم بخلع بنطلون ماريوس**).

م. دناردييه: عيب كده يا راجل! سيب لي أنا حكاية البنطلون دي!

فالجان: (**بجوار ماريوس ويمسك بذراع دناردييه**) مكانك يا لص!

دناردييه: (**يصرخ مرعوبا ومعه زوجته**) الجثة صحيتْ! الجثة اتكلمت!

فالجان: لستُ ميتا يا أحط مخلوقٍ! تسرقُ الذين سقطوا من أجل الطهر والسلام أيها النجس؟

دناردييه: أنت هو يا سيدى؟!

م. دناردييه: هو من يا ذناردييه؟ إنت ليك أصحاب أموات من ورايا؟

دناردييه: هو اللص الهارب جان فالجان.

م. دناردييه: الذى اشترى كوزيت بالقليل من المال وخلع. وقعتك سودة! (**تهجم عليه**) ماذا تفعلُ وسط هؤلاء الشرفاء يا حرامي؟

دناردييه: (**يمثل**) حتى اللقمة الحلال بتشاركنا فيها يا فالجان؟! إخص عليك إخص! صوتي يا ولية ونادى على جافير يقبض عليه!

م. دناردييه: إلحقنا يا جافير! مسكنا حرامي الميتين يا خويا!

فالجان: (**يدفعهما بعيدًا عنه فتسقط م. دناردييه بجوار جثة إبونين بينما يظلُ دناردييه متشبثا بفالجان**) اتركوني أنقذ حياة إنسان يا وحوش!

م. دناردييه: من أرى؟ أعرف رائحة البنت!

دناردييه: تنقذُ ولا تقلبْ الميتين يا حرامي يا محتال؟! أدركنا يا مفتش الشرطة يا جافيييير!

م. دناردييه: أدركني يا دناردييه!

فالجان: كن بني آدم مرة واحدة! الولدُ ينزف كلَّ دمِهِ.

دناردييه: لن أتركك!

م. دناردييه: إبونين وسط القتلى يا زوجي المحتال!

دناردييـه: (**يتـرك فالجـان ويهـرع إلـى إبـونين بينمـا فالجـان يهـرع إلـى مـاريوس**) ابنتـي إبونين؟؟!!

فالجان: ماريوس كلمني يا ماريوس!

م. دناردييه: آآآآه يا طفلتي البائسة! (**فالجان يجر ماريوس من بين الجثث ويفحص جسده**)

دناردييه: لِمَ فعلت هذا بنفسِكِ يا إبونين الجميلة؟؟

م. دناردييه: قومي يا قرة عيني! تعالي أضمك في صدرٍ حرمْتُكِ منهُ من أجل المال!

دناردييه: احمليها معي إلى الطبيب في الحال! سأدفعُ من أجلها كلَّ ما أمتلك! سأسرقُ وأقتلُ وأبيع لحمي من أجلك يا إبونين.

م. دناردييه: أين جُرحُكِ يا إبونين؟ دعينى أداويك!

فالجان: فليأتي أحدُكما بقماشةٍ أسدُّ بها النزف! لقد كُسرتْ ضلوعُهُ، لكنه يتنفس! (**يخلع قميصه ويكتم به صدر ماريوس**) ألا يمرُّ أحد ليساعدني؟

م. دناردييــه: البنــتُ بــلا أنفــاس يــا ذناردييــهّ ابنتنــا الوحيــدة بــاردة حافيــةٌ جائعــةٌ في بردِ الليل والظلام.

دناردييـه: لأجل من جمعنا كلَّ ما جمعنا يا إبونين؟ أيتها الرحمة الغائبة؟ لمن حياتي التـي عشـتُها أحتال وأكذب وأقبِّلُ أحذية السُّكارى من أجل المال؟ شيلها معايا لأقرب طبيب!

م. دناردييه: آآآآه يا إبونين! (**تضمها بينما دناردييه يفرد قميص ماريوس**)

فالجان: لا حل إلا أن أحمله إلى أقربِ طبيب. اسمع دُعائي يا ربّ أحْيِهِ لأجلِ خاطر شبابه!

دناردييه: أهذا قميصُ مَنْ أحببتِ يا إبونين؟ أهذا خاتمُ حبيبته التي حرمتك السعادة؟ أقسمُ لأذيقنهم مني ما ذُقْتِ من حرمان وقسوة. (**أثناء خروجهما**) لي معك موعدٌ يا فالجان تتمنى فيه رحمة السجن القديم. (**يخرجان**)

فالجان: لا سبيلَ إلا أنفاق المدينة. (**يهم بحمل ماريوس نحو الصالة**)

جافير: (**يدخل بمسدسه**) مكانك يا فالجان! انتهى وقتُ الهرب فكفَّ عنهُ الآن!

فالجان: سيدى جافير! أنا طوعُ أمْرِكَ لكنَّ الولدُ ينزفُ دمهُ بغزارة، ولابد من إنقاذِ حياته. استحلفك باسم العدالةِ والقانونِ اللذين تحميهما أنْ تتركني أنقذُ حياته. بعدها سأسلمُ لك نفسي وفي هذا المكان. أقسمُ لك!

جافير: بماذا يُقسمُ اللصُّ عديمُ الشرف؟ (**يجذبه**) مثلُك لا يملكُ غير الركوع أمام القانون ليضعَ يديه في الاصفادِ صاغرًا. (**يُجبر فالجان على الركوع ويظهر الكلبشات**)

فالجان: نعم أركعُ وأتوسلُ إليك يا سيدى. ولكنْ كلَّ كلمة تقالُ الآن، كلُّ لحظه تمرُّ، يخسرُ هذا الشابُ بها فرصتهُ في الحياة. هل تسمعُ كلماتي؟ هل تفهمني؟

جافير: ما أفهمه أنكم خارجون على القانون، والرحمة معكم تضرُّ بالنظام العام.

فالجان: تغلقُ قلبك في وجهِ الحياة؟ مثلك لا يفهمُ إلا هذا! (**يخطف جافير من رأسه يلقيه أرضا ويضربه على مؤخرة رأسه فيسقط مغشيا علية**) سامحنى يا جافير، وعذرًا للقانون. فللحياةِ

احترامُهَا. سأسلمُ نفسي هنا كما وعدتك، بعد أنْ أقومَ بواجبي. **(يخرجُ حاملا ماريوس - إظلام ثم ضوء يُترجم مرورَ الزمن بين خروج فالجان وعودته بعد اللحن)**

فالجان: **(يعود يبحث عن جافير بجرأة وقد بدل ملابسه واستعد. يذهب إلى جافير المغمى عليه يهزه بقوة)** قم يا جافير ونلْ جائزتك. قمْ يا مفتشَ الشرطة وحامي القانون. أنا من تبحثُ عنه طوال خمسةٍ وعشرين عامًا.

جافير: **(يقوم متألما)** السجين 601

فالجان: اسمى جان فالجان! سجنتُ تسعة عشر عاما حين سرقتُ رغيفًا من الخبز لأنقذ ابنتة أختي من الموت جوعا، فمنْ أنقذتَ أنتَ طوال حياتك؟ **(جافير يبحث عن مسدسة أرضا وفالجان يسلمه له ويساعده على الوقوف)**

جافير: كلَّ الذين ينامومِ مِلءَ أعينهم آمنين من اللصوص، أنقذتهم منَ أمثالك.

فالجان: فلماذا ماتت ابنة أختي جوعا؟ أين كانت، وماذا فَعَلتَ حمايتُكَ؟ لماذا ماتتْ إبونين والرِّفاقُ بينما يعيشُ ذناردييه الفاسقُ وزوجتُهُ وأمثالهم على أعين الناس وعينيك؟ أين كُنتَ أنت؟

جافير: لستُ رسولَ الرحمةِ ومطعمَ الجياع المتسولين مثلك. من يخرجُ عن القانون؛ فأنا له بالمرصاد.

فالجان: أنت تعطي ظهرَك للنور يا جافير. تبدأ مِنَ النهاية وتأخذُ بالنتائج الكاذبة. العدلُ لا يتجزأ يا جافير، لكنك كلبٌ يحرسُ بابَ اللصوص والداعرين والقتلةِ ما دُمتَ لم ترَهُمْ يخرجونَ عن القانون.

جافير: مثلكَ يشتُمُ، يسرقُ، يختلسُ الخطى ويهربُ، لكن لا يجيدُ العيشَ في سلام.

فالجان: بل عشتُ في سلام، لولا أنْ طاردتني. هداني رجلٌ صالحٌ لطريقِ الله. أهداني شمعةَ نورٍ فعمِلتُ ولمْ أسرقْ قط، غير رغيفِ الخبز. صنعتُ المالَ، بنيتُ مصنعًا واستأجرْتُ البسطاءَ البؤساءَ، ربيْتُ طفلة لمْ تكن لِى، أعطيتُ لها كلَّ ما ادخرْتُ، انقذتُ حياة مَنْ استطعتُ ولست أبَاهِي؛ بل أشكرُ صُنْعَ اللهِ أنْ وهبنِي هذا القلبَ، كي أعرفَ مَعْنى الرَّحْمَةِ وأتذوقَ شَهْدَ الشَّفقةِ. ولذا رَأيْتُ بَعَيْنِي قلبي نورَ اللهِ، حين مَدَدَتُ يَدَ الإحْسَانِ لِخَلقِ اللهِ. لكنكَ أعْمَى منزوعَ الرحمة. قلبُكَ والأصْفادُ حديدٌ. جفَّتْ فيكَ ينابيعُ الخير فصرْتَ تخدِمُ كلماتِ القانونِ الصَمَّاءِ كثورٍ يَحْرُثُ حقلا مَيْتًا. **(يجذبُ جافير بقسوة إلى جثث الثوار)** انظر يا جافيرُ وحاولْ أنْ تفهمَ؛ ماذا دَفعَ الصِّبْيَةَ فى عُمْرِ الحُبِّ وسِنِّ اللعبِ إلى المَوْتِ لأجلِ الحُرِّيَّةِ والعَدْلِ، الرَّحْمَةِ والخَيْرِ؛ وهى بسُوقِ الدُّنيا لا تعدو كلمات؟!

جافير: **(وقد تزعزع يقينه)** سَوَّلتَ لهُمْ أنفسُهُمْ عِشْقَ البُطولاتِ وإعْجَابَ الناسِ.

فالجان: بل قادَ خُطاهُمْ شبحُ اليأسِ مِنَ العَدْلِ المَيّتِ، مِنَ الظلمِ المُسْتشري في أطنابِ الأرض، مِنَ الجُوعِ المُشبَعِ بدموع الطفلِ وعذاباتِ الأمِّ، مِنَ الحِرْمَانِ. إن شئتَ العَدْلَ فخُذهَا منى: أطعمْ يا جافيرُ بُطونَ الناس! حَقِّقْ يا جافيرُ عَدَالةِ رَبِّ الناس! لا تتركْ مَحْرُومًا دُونَ عَطاءٍ أو عُرْيَنا دُونَ غِطاءٍ. لا تتركْ جائعة تسقطُ فتبيعُ لأجلِ القوتِ بِسُوقِ العُهْرِ جَبِينَ الطُّهْرِ عَلى الطُّرُقاتِ. ساعتها لنْ تجدَ لِمثلكَ عَمَلا بينَ الناس، حينَ يَصِيرُ الناسُ ... حُمَاة الناسِ.

جافير: سأفعلُ يا فالجان. سأحقِّقُ عَدْلَ الله، وسأبدأ بكَ. **(يصوب المسدس على رأس فالجان)**

ماذا تأملُ قبلَ المَوْتِ؟ (**فالجان ينظر له بجراه فيصرخ فيه**) أبعِدْ عينكَ عَنّي وأجبنِي! (**يُديرُ فالجان ليتكلم فى ظهره**) خطفتَ يَوْمًا مُسدَّسِي ولم تقتلني، فماذا كنتَ تريدُ؟ كان لك أنْ تقتلني حينَ أُسِرْتُ على المتاريس، لكنك أطلقتَ سَرَاحِي، فماذا كنتَ تريدُ؟ أوقعتَ بِي هنا مُنذُ ساعةٍ ففقدْتُ الوعْيَ ولم تقتلني! فماذا كنتَ تُريدُ؟ أنْ تسقيني السُّمَّ بكلماتِ الوُعَّاظِ؟ أنْ تُخبرَنِي أنّي عشتُ أدافِعُ عَنْ ظلمٍ ألمَحُ فيهِ سَرَابَ الْحَقِّ؟؟!! ماذا كنتَ تريدُ؟

فالجان: أن يُبْصِرَ قلبُكَ!

جافير: لكنَّكَ وهبْتَنِي حياتِي وسَرَقْتَ قلبْي. هلْ تعلمْ؟ سَمَّمْتَ حياتي بخِنْجَرِ عفْوِكَ. أنتَ مَا ألقيْتَ بِي خارجَ السَّاحةِ بَعِيدًا عن الرَّصَاصِ. أنتَ ألقيتَ بي إلى العَدَمِ. فسِرْتُ أحدِّقُ فِى المَجْهولِ. سَقطَتْ نُجُومُ السماءِ بينَ يَدَىَّ سَوْدَاءَ باردةً. وصارَ الكونُ فراغًا لا معنى له؛ حين عَرَفَ سَيِّدُ القانون، أنَّهُ عاشَ يَخْدِمُ سَيِّدًا غَبِيًّا ظلمَ رَجُلاً نبيلاً لِمُدَّةِ تسعةَ عَشَرَ عامًا لأجلِ رغيفٍ مِنَ الخُبزِ ليس له، بل لابنة أخته. (**صمتٌ حائرٌ**) كلمةَ أخيرةَ يا فالجانِ قبلَ أنْ أُطْلِقَ آخرَ رَصَاصَةٍ مِنْ مُسَدَّسِي خدمَةً للعَدَالَةِ التَّي اعْتَقَلَتْنِي عُمْرًا: هلْ حَقًّا سُجِنْتَ ظلمًا وأمْضَيْتَ السنينَ التسعةَ عشرَ مُعَذَّبًا ببراءَتِكَ؟

فالجان: أنتَ تعذِّبُنِى وتعَذِّبُ نفسك يا جا ... (**يستدير إلى جافير**)

جافير: (**صارخا**) أجبني ولا تلتفتْ إليَّ يا فالجانٌ أجبني بكلمةٍ واحدةٍ لا غير.

فالجان: قبلَ أنْ تطلقَ الَّرصاصَ يا جافيرُ وقبلَ أنْ أجيبَكَ، دَعْنِى أواجهَكَ، ولأمُتْ في صدري لا في ظهري كالهاربين. (**يستدرُ ليواجهه**) الآنَ أجيبُكَ: نعمْ، سُجِنْتُ ظلمًا وأمْضَيْتُ سنينَ السِّجْنِ بريئًا.

جافير: وإذنْ فليَمُتْ الظلمُ بلا غفرَانٍ. (**يطلقُ النار على نفسه بالرأس فيموت في الحال**)

فالجان: ولتطوي صفحةُ الماضي بلا نسيان. الآنَ يا كوزيتْ أستطيعُ أنْ أخرُجَ مِنَ حياتِكِ إلى الأبدِ. وسيأتي إليك ماريوس بعدَ أنْ يشفيَهُ الله، ولتبدأ حياةٌ ليسَ فيها رجلٌ صاحبُ سوابق. (**لجثث الثوار**) إلى اللقاءِ يا صُحبةً لم أنَلْ مَعَهُمْ جائزة الجِهَادِ.

(يخرج)

أغنية تدل على الأمل

إظلام

النص بهذه النهاية محذوف منه ثلاثة مشاهد كاملة وهي تفضي إلى موت فالجان في حضور كل شخوص المسرحية على رأسهم كوزيت وماريوس عروسان في ليلة الزفاف